



# قصص من الأعماق

واضعه

أبراهيم جلال

الناشر

مكتبة نخضة مصر بالقاهرة



الألف كتاب

(٣٠١)

## قصص من الأغاني

بإشراف  
إدارة القشاعة المسجلة  
بوزارة التربية والتعليم  
الإقليم الجنوبي

تصدر هذه السلسلة بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية  
الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

(٣٠١)

الألف كتاب

# قصص من الأغاني

واضعه  
الإمام جلال

الناشر

مكتبة تحف مصنفات الفحالة



## مقدمة

هذه قصص مختارة من كتاب الأغاني للإمام أبي الفرج الأصفهاني  
تحدثنا عن فريق من المتيمين الذين أحبوا ففجوا ففكتموا الحب فاتوا  
بعد أن نظموا الرقيق من الشعر الوجداني فيمن عشقوا من الغواني ،  
فكانت مآسى مفجعة وأحداثا أليمة لأولئك البائسين الذين حرموا  
نعمة اللقاء وغلبيهم الدهر على أنفسهم ، ففرع أجسادهم ورمى بأشلائهم  
على جسر الهوى شهداء تفرحت بمسيل الدمع أجفانهم ، وتنفجرت  
عن جمرات النوى صدورهم .

وكانت علة ذلك البلاء غلو أعراب البادية في صيانة أعراضهم  
والذود عن أحسابهم ، فأسرفوا في كراهية تزويج فتيانهم من أحبين من  
البؤساء المتيمين بعد أن ذاعت بين العشائر أحاديث غرامهم وفاضت  
أحزان مآسهم وتناقل الناس رقيق ما نظموه من الغزل والنسيب فيهن ،  
والحوا في نفي أولئك المساكين من جوارهم ، وحرموهم رؤية فتيانهم  
وزعموا أن ذلك الغلو في قطيعتهم ذود عن أنفسهم وسمو بأداب العفة  
المتأصلة فيهم ، ثم لجثوا آخر الأمر إلى أبواب الحكام يلتمسون العون  
عليهم فأباحوهم دعاءهم ، فسادت بذلك عقابهم واستجكت حسرة الحرمان  
من قلوبهم .

وغالب ما وقع من فجائع الحب كان في قبيلة بني عذرة وهي الحى  
الذى تفرد عشاقه بعفة الهوى وسمو التفجع فيه، وبراءته من ذلك الهوى  
العصرى الذى استفاضت سيره وتعددت قصصه ونعته كتابه بالهوى  
العذرى افتيانا وعدوانا .

وكانت منازل بني عذرة في وادى القرى وهو الذى جمعت فيه  
آثار قوم ثمود وعاد ، إذ يرتحل المسافر من ظاهر المدينة المنورة  
شمالاً فيخترق المراحل العديدة بين منازل القبائل القريبة الضاربة في  
طريقه حتى يبلغ منازل بني عذرة ، كما تمتد دروب أخرى من وادى  
القرى إلى منازل بني عامر التى عرفت بالغزليين أيضاً .

وعلى المسافر أن يقضى ثلاث ليال بعد بلوغ تلك المنازل ليدخل  
مدينة (تيما) التى فيها قبيلة طي .

وتيما مدينة تقوم على ضفة نهر ومن حولها سور وفيها كثير من  
الفاكهة ، ويمتد الطريق منها إلى حوران أولى مدائن الشام .

(معجم ما استعجم)

وقد ألحقت بذيل قصص أولئك العذريين طائفة من الملاح الغالية  
والنوادير المحببة هي نزهة النفس وريبع القلب ومرتع السمع ومجلس



الراحة ومعدن السرور ، ينتقل بينها القارىء من فائدة إلى مثلها من جد  
وهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة  
وأخبارها الماثورة ، وفيها الكثير من قصص الخلفاء في الإسلام تجمل  
بالمأدبين معرفتها لأنها منتحلة من غرر الأخبار ومنتقاة من عيونها  
ومنقولة عن أهل الخبرة بها . .



( ١ )

قصة

جميل وبثينة

كان بطل هذه القصة جميل بن عبد الله بن معمر العذري الذي  
يُمتد نسبه إلى قبيلة قضاة .

وكان جميل شاعراً فصيحاً جامعاً للشعر والرواية ، فقد كان راوية  
لشعر هذيلة بن خشرم كما كان الشاعر الغزلي كثير راوية لشعر جميل .  
وأحب جميل بثينة من بنى الأحب وهي تغذ من بنى عذرة  
وعرف بصدقه في الصباية والعشق ، فإن نصيبا الشاعر وهو مولى  
عبد العزيز بن مروان كان معاصراً لجميل وشهد له بأنه إمام المحبين  
وأول ما أحب جميل بثينة أنه أقبل يوماً يابله حتى أوردتها وأديا  
يقال له : بغيض فاستراح به وأرسل إليه تصعد الوادي .

وكان أهل بثينة في آخر الوادي فأقبلت بثينة مع جارة لها تردان  
الماء فرتا على بعير لجميل قد برك فنفرته وكانت جارية صغيرة فسبها  
جميل فردت عليه نسبها فاستطاب سبابها وقال أول شعر له فيها  
وهو :

وأول ما قاد المودة بيننا      بوادي بغيض يابثين سباب  
وقلنا لها قولا فجاءت بمثله      لكل كلام يابثين جواب

وحدث بعد ذلك أن خرج جميل في يوم عيد والنساء إذ ذاك  
يتزين ويبدو بعضهم لبعض ويخرجن سافرات للرجال في كل  
عيد

فوقف جميل ببثينة ومعها أختها أم الحسين ونساء من بنى  
الأحب فأعجبه منظرهن وعشق بثينة .

وقعد بينهن طويلا وكان معه فتيان من بنى الأحب أهل بئينة  
فأدركوا أن جميلا قد وقع في حب بئينة فنقموا عليه

وسمعت بئينة أن جميلا قد كاف بها فأقسمت بالله لئن قدم عليها  
في خلوة لتخرجن إليه ولا توارى منه فكان يأتي لزيارتها عند غفلات  
الرجال فيتحدث إليها مع أخواتها حتى نعى الخبر إلى أبيها وإخوتها  
وكانوا ذوى أنفة وغيره فوقفوا له بالمرصاد في جماعة عدتهم  
بضعة عشر رجلا وكان لجميل ناقة فارهة لا يجارها بعير اسمها الصبياء .  
فالتقى ببئينة يوما وأختها أم الحسين وجعل ينشد هما قوله :

لقد ظن هذا القلب أن ليس لأقيا      سليمي ولا أم الحسين لحين  
فليت رجلا فيك قد نذر وادى      وهموا بقتلي يا بئين لقوى  
فوثب عليه القوم ولكنه انطلق بناقته فقاتهم .

وحدث بعد ذلك أن بئينة واعدت جميلا أن يلتقيا في بعض  
المواضع فأتى لوعدها وجاء أعرابي فنزل ضيفا على قومها وقال لهم : إني  
رأيت يطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرقين متوارين في الشجر وأنا  
خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم فيمروا أنه جميل وصاحبان له .  
فخرسوا ببئينة ومنعوها من الوفاء بوعده .

ولبت جميل وحده طول ليلة حتى أسفر له الصبح فانصرف كئيبا  
سيء الظن بها ورجع إلى أهله فجعل نسياء الحزن يلبسه . ويقلن له : لقد  
حصلت منها على الباطل وقد كذبت عليكم فقال فيها :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة  
وهل ألقين فرداً بيثنة مرة  
علقت الهوى منها وليدأ فلم يزل  
وأقنيت عمري بانتظارى وعدّها  
فلا أنا مردود بما جئت طالبا  
وما أنسّم الأشياء لا أنس قولها  
ولا قولها لولا العيون التي ترى  
يقولون جاهد يا جميل بغزوة  
لكل حديث ينهن بشاشة  
إذا قلت ما بي يا بيثنة قاتلي  
وإن قلت ردى بعض عقلى أعشبه  
بوادى القرى؟ إني إذا لسعيد  
تجود لنا من ودها ونجود؟  
إلى اليوم ينمى حبها ويزيد  
وأبليت فيها الدهر وهو جديد  
ولا حبها فيما يبید يبید  
وقد قربت بصرى أمصر تريد  
لزرتك فاعذرنى فدتك جدود  
وأى جهاد غيرهن أريد  
وكل قتيل عندهن شهيد  
من الحب قالت ثابت ويزيد  
مع الناس قالت ذاك منك بعيد

وقامت أمة لبثينة بالسعاية عند أبيها وأخيها وقالت لها: إن جميلا  
عندها الليلة فأتياها مشتملين على سيفين فرأيا جميلا جالسا عندها ولكنها  
غير مغالط لها، يحدثها ويشكو إليها به، ثم قال لها: يا بيثنة أرايت حبي  
لك وشغفى بك ألا تجزيقتي؟ قالت: بماذا أجزيك؟ قال: بما يكون بين  
الحبين المتحابين، فقالت: يا جميل أهذا تبني؟ والله لقد كنت عندي  
بعيدا منه. ولئن عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهي أبدا.

فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه.  
ولو علمت أنك تحببيني إليه لعلمت أنك تحبين غيرى، ولو رأيت منك  
مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا، ولو أطاعتنى نفسى لمجرتك هجره

الآبد ، فقال أبوها لأخيها : قم بنا فإني بنا لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقاءنا فانصرفا وتركاهما .

وحدث رجل من أصدقاء جميل وأترابه كان يالفه قال : قال لي جميل ذات يوم : هل تساعدني على لقاء بثينة؟ فضيت معه فكن في الوادي وبعث بي إلى راعي إبل بثينة بخاتمه فدفعت الخاتم إلى الراعي فضى به إليها ثم عاد بموعد منها إليه ، فلما كان الليل جاءت فتحدثا طويلا حتى أصبحا ثم ودعها وركب ناقته ، فلما استوى في غرزا وهي باركة قالت له : ادن مني يا جميل فقال يودعها :

إن المنازل هيئت أطرابي      واستعجمت آياتها بجوابي  
قفرى تلوح بذى اللجين كأنها      أنضاء رسم أو سطور كتاب  
لما وقفت بها القلوص تبادرت      منى الدموع لفرفة الأحباب  
وذكرت عصراً يا بثينة شاقى      وذكرت أيامى وشرح شبابي

وكان كثير الشاعر صديقاً لجميل وراوية لشعره وكان يقول الشعر تغزلا في عزة ، وكان كثير الثناء على جميل وعلى شعره ، فالتقى به يوما فسأله جميل أين كنت؟ قال : كنت عند والد بثينة . فسأله أين تريد؟ قال : أريد أن أزور حبيبتى عزة ، فقال له جميل : أسألك بالله أن تعود إلى حى بثينة فتستجد لي موعداً منها ، فقال له كثير : لقد كنت لديهم من ساعة وأستحي أن أرجع إليهم ، فقال له جميل : لا بد من ذلك . فقال له كثير : متى كان آخر عهدك بها؟ قال : كان ذلك في أول الصيد

وقد وقعت سحابة بأسفل وادى الدوم فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثيابها ، فلما أبصرتني لم تعرفني فنطت وجهها ببعض ثيابها ، ولكن جارتها عرفتني فكشفت عن وجهها وتحدثنا حتى غابت الشمس وسألتها الموعد فقالت : إن أهلها جميعا بالحي ، ولم أجد أحدا فأرسله إليها إلا أنت .

فقال له كثير : ما رأيك في أن آتي الحي فأحدثهم بأبيات من شعري أذكر فيها تلك العلامة التي ذكرتها لي الآن لأنني لا أستطيع الخلوة بثينة فأحدثها .

فسر جميل لتلك الحيلة وخرج كثير حتى أناخ بأبيات بثينة .

فقال له أبوها : ما ردك إلينا ؟

قال : ثلاثة أبيات عرضت لي فأحببت أن أعرضها عليك ، قال : هاتها فقال كثير : وكانت بثينة تسمعه :

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي إليك رسولا والموكل مرسل  
بأن تجلي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعـل  
وأخر عهدي منك يوم لقيتني بأسفل وادى الدوم والثوب يفضل

فضربت بثينة جانب خدرها وقالت اخساً اخساً .

فقال أبوها : ماذا جرى يا بثينة ؟

قالت : إن كلبا يأتينا إذا نوم الناس من وراء الرابية .



ثم قالت للجارية اذهبي إلى الدومات فاحملى لنا بعض الحطب لنذبح  
لكثير شاة ونشويها له

فقال كثير : أنا أعجل من ذلك ، وانصرف إلى جميل فأخبره .

فقال جميل : الموعد الدومات . وقالت بثينة لأم الحسين وليلى ونجى  
بنات خالتها وكانت تأنس بهن وتطمئن إلى مودتهن : إني رأيت في  
نشد كثير أن جميلا معه .

وخرج كثير وجميل حتى أتيا الدومات وجاءت بثينة ومن معها  
وجعلت تحدث جميلا طول ليالها حتى برق الصبح ، فلما انصرفن قال  
كثير : ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك ، فقد علم كل واحد منهما بما  
في ضمير الآخر ، وما أدري أيهما كان أكثر فهما من صاحبه .

ولما ضاق والد بثينة بهذه الحال زوج بثينة برجل من قبيلته ، وجاء  
على وادى القرى الذى تزله بنو عذرة حاكم اسمه دجاجة بن ربيع .  
فشكا أهل بثينة جميلا إلى الوالى فأرسل إليه ألا يلم بأبيات بثينة ، وأهدر  
دمه لأهلها إن عاود زيارتها ، فكف جميل عن الزيارة .

ولكن الدنيا ضاقت به فكان يصعد ليلا على كشبان تفصله عن  
أبيات بثينة ويتنفس الريح من ناحية حيها ويقول :

أيا ريح الشمال أما ترفى أهيى وأتى بادي التحول

هبي لى نسمة من ريح بنى ونفى بالهوب ... إلى جميل  
وقولى يا بئينة حسب نفسى قليلك أو أقل من القليل  
فإذا بدا وضع الصبح انصرف .

وكانت بئينة تقول لجوار من الحى عندها : ويحك إنى لا سمع  
أتين جميل من بعض القيران ، فيقان لها : هذا شئ يخيله لك الشيطان .

وزار جميل يوما حى بئينة . فزل قريبا من الماء يتربص أمة  
لها أو راعية . فمرت به أمة حبشية تحمل قرية وكانت تعرفه فسلبت  
عليه وجلست معه فجعل يحدثها ويسأل عن بئينة ويحدثها بخبره بعدها ،  
ثم أعطاها خاتمه لتدفعه إلى بئينة وتأخذ عليها موعداً له .

فانصرفت الجارية إلى الأليات وكانت قد أبطأت على موالها فلقبها  
أبو بئينة وزوجها وأخسوها فسألوها عما أبطأ بها فالتوت عليهم  
ولم تخبرهم وتعللت فضربوها ضرباً مبرحاً فأعلبتهم بحالها مع جميل  
ودفعت إليهم خاتمه ، وفى تلك الأثناء مريهم فتیان من بنى عذرة فسمعوا  
القصة كلها وعرفوا الموضع الذى به جميل فأجبا أن يثبطا القوم عنه  
فقالا لهم : إنكم إن لقيتم جيلا وليست بئينة معه ثم قتلتموه لزمكم فى  
ذلك كل مكروه ، فدعوا الأمة توصل الخاتم إلى بئينة حتى إذا ما زارها  
جميل يتنموا جميعاً .

فقالوا : صدقنا إن هذا هو الرأى .

ودفعوا الخاتم إلى الامة وأمروها بإيصاله إلى بثينة وخذروها  
من أن تخبر بثينة بأنهم علموا بالقصة ، ولم تعلم بثينة بما جرى .

ومضى الفتيان إلى المكان الذى كان به جميل فأنذراه ، فقال :  
واقه ما أُرهبهم وفى كنفاتي ثلاثون سهما ويذى سيفى .  
فقالا له : إنك ستقيم عندنا فى بيوتنا حتى يهدأ الطالب ثم نبعث إليها  
فتزورك وتنصرف بعد ذلك سليماً .

ويحسن بك الآن أن تبعث إليها من ينذرها حتى لا تخرج للقائك  
وأتياء براعية لها لحملت رسالته إلى بثينة فلم تخرج لزيارته ورصدها  
أهلها فلم تبرح مكانها فخرجوا يقتفون أثر جميل وكان قد  
فاتهم فعادوا .

وأراد أهل بثينة سفراً فاتسموا عليها عجوزاً منهم تدعى أم منظور  
فجاءها جميل وقال لها : أربنى بثينة فقالت : لا والله لا أفعل لقد  
اتتمونى عليها فقال : والله لأفعلن بك الأفاعيل وخرج من عندها  
وهو يقول :

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت

بالحجر يوم جلتها أم منظور  
ولا استلابتها خرساً جبائرها

إلى من ساقط الأوراق مستور  
وذاع خبر هذين اليتيم فى الحى حتى سمع بهما أهل بثينة فأرادوا  
البطش بأم منظور فخلفت لهم بكل عين فلم يصدقوها .

وجاء جميل ذات ليلة إلى أبيات بثينة في ثياب راع فوجد عندها  
أضيافاً فوقف بعيداً عن أبياتها فسأله : من أنت ؟ فقال : مسكين  
فأطعمت ضيوفها وأطعمته وحده ، ثم جلست هي وجاريتها تصطليان  
من البرد واضطجع القوم للنوم ، فقال جميل :

هل البائس المقروردان فصلل من النار أو معطى لحافاً فلابس

فقال بثينة لجاريتها : صوت جميل والله ، اذهبي فانظري فرجعت  
إليها ، فقالت : هو والله جميل . فشبهت شهقة سمعها الرجال من أهلها  
فأقبلوا يحبرون إليها ، وقالوا : مالك فطرحت برداً لها في النار ، وقالت :  
احترق بردى فرجع القوم .

واشتكى زوجها إلى الوالي وإلى أهل جميل وكانت منازلهم  
متجاورة وهم ييوانات متصلة .

فشت مشيخة الحى إلى أبيه ، وكان يلقب بصباح وكان ذا مال  
وفضل وقدر في أهله فشكوه إليه وناشدوه الله والرحم ، وسألوه كف  
ابنه عما يتعرض له ويفضحهم به في فئاتهم ، فوعدهم كفه ومنعه  
ما استطاع ثم انصرفوا . فدعا به وقال له : يا بني حتى متى أنت مصر  
على ضللك لا تأقف من أن تتعلق بذات بعل يظلوها وأنت عنها  
بمعزل ، ثم تقوم من جنبه إليك فتغرك بخداعها وتريك الصفاء  
والمودة ، وهى مضمرة لبعليها ماتضمرة الحرة لمن ملكها فيكون

قولها لك تعليلاً وغروراً فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعلها على حالتها المبدولة .

إن هذا لذل وضيم . ما أعرف أخيب سهما ولا أضيع عمرا منك . فأنشدك الله إلا كففت وتأملت أمرك فإنك تعلم أن ما قلته لك هو الحق ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها ، ولكن هذا أمر قد فات وفي النساء عوض .

فقال له جميل : الرأي ما رأيته والقول كما قلت . فهل رأيته قبلي أحداً قدر أن يدفع عن قلبه هواه أو ملك أن يسلي نفسه ، أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه ؟ والله لو قدرت أن أحو ذكرها من قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت . ولكن لا سبيل إلى ذلك ، وإنما هو بلاء بليت به لحين قد أتيت لي ، وأنا ممتنع من طروق هذا الحى والإلزام بهم ولو مت كمداً ، وهذا جهدى ومبلغ ما أقدر عليه .

وقام وهو يبكي فبكى أبوه ومن حضر وسمعوه في منصرفه يقول :

أفق فالتعزى عن بئنة أجل	ألا من لقلب لا يمل فيذهل
وأنت بها حتى المات موكل	سلا كل ذى ود علمت مكانه
وإن كنت تهواها ترض وتبخل	فياقلب دع ذكرى بئنة إنها
فكن حازماً ، والحازم المتحول	وإن التى أحبت قد حيل دونها

ففي اليأس مايسلى وفي الناس خلة  
وفي الأرض عن لا يواتيك معزل  
على حين ولي الأمر عنا وأسمحت

عصا الين وانبت الرجاء المؤمل  
فما هو إلا أن أهيى بذكرها  
وآخر عهدي من بثينة نظرة على موقف كادت من الين تقتل  
وإني لأستبكي إذا ذكر الهوى إليك ، وإني من هواك لأوجل  
وأراد جميل أن يرحل إلى الشام فهجم ليلا على أبيات بثينة  
ليودعها ، وقد وجد غفلة فقالت له : أهلكني والله وأهلكك نفسك .  
فقال هذا وجهي إلى الشام وقد جئتكم مودعا .

وحادثها طويلا ثم ودعها وقال : يا بثينة ما أرانا نلتقي بعد هذا  
وبكيا طويلا وقال وهو يبكي .

ألا لا أبالي جفوة الناس مابدا لنا منك رأى يابسين جميل  
وإني وتكرارى الزيارة نعوكم بئين بذى هجر بئين يطول  
وإن صباباتي بكم لكثيرة بئين ونسيانيسكم لقليل  
ولبت بالشام طويلا ثم عاد . وبلغ بثينة خبر عودته فراسلته مع  
بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ووجدتها به وواعدته لموضع يلتقيان  
فيه ، فسار إليها وحادثها طويلا ، وكان أهلها قد رصدوها فلما فقدوها  
تبعها أبوها وأخوها ، فوثب عليهما جميل بسيفه ففرا منه وانصرف  
جميل وانقطع التلاقي بينهما مدة .

ودخل عليه ابن عم له يحبه اسمه روق فسمعه ينشد غزلا في بثينة  
ويقول :

غراء مبسام كأن حديثها      در تحدر نظمه منشور  
مخطوطة المتين مضمرة الحشا      ربا الروادف خلقها بمكور  
لاحسها حسن ولا كدلالها      دل ولا كوقارها توقير  
إن اللسان بذكرها لموكل      والقلب صاد والخواطر صور  
ولئن جزيت الود مني مثله      إني بذلك يا بئين جدير

فقال له روق : لئن صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها ونجرت  
مرارة الحزم حتى تألفها وتصبر نفسك عليها ألفت ذلك وسلوت، فبكي  
جميل وقال : يا أخى لو ملكت اختياري لكان ما قلت صواباً ولكني  
لا أملك لي اختياراً، وإني لأرجو أن تحمل على نفسك في مساعدتي  
فقال : سأحاول ذلك حباً فيك .

إنها تخرج كل ليلة مع بنات عم لها إلى ملعب هن ، وإن لي أختاً  
من رهط بثينة من بنى الأحب تأوى عنده نهاراً، واسأله مساعدتي على  
ذلك فتقيم عنده أياماً نهارك وتجتمع معها بالليل .

ومضى روق إلى الرجل فأخبره الخبر واستعده كتماناً فقال له :  
لقد جئتني يا حدى العظام لأن في ذلك معاداتي أهل الحى جميعاً إن  
فطن به أحد .

فقال له : أنا اتحرز في أمره من أن يظهر، فواعده في ذلك ومضى روق إلى جميل فأخبره بالقصة فأتيا الرجل ليلا فأقاما عنده ، وأرسل إلى بئينة بوليدة له تحمل خاتما جميلا فلما رآته عرفته فجاءت فتحدثا ليلتهما .

وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودعها وقال :

عن غير قل والله ولا ملل يا بئينة ، ولقد تدمعت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه وأقت عنده ثلاثا ولا مزيد على ذلك ، وانفرد جميل بنفسه وقال :

لقد لج ميثاق من الله بيننا وليس لمن لم يعرف الله من عهد  
فلا وأبيها الخير ما خنت عهدا ولا لي علم بالذي فعلت بعدى  
وما زادها الواشون إلا كرامة على وما زالت مودتها عندى  
أفى الناس أمثالى أحب لخالم كحالى أم أحببت من بينهم وحدى  
وهل هكذا يلقي المحبون مثل ما لقيت بها أم لم يجد أحد وجدى

وحدثت إحدى عجائز بني عذرة فقالت :

كنا على ماء لنا وقد أبعدنا عن طريق الجادة لكثرة الجيوش التي كانت تأتي من الشام تريد الحجاز، وكان رجالنا قد غادروا الحي في سفر وكنت مع بئينة في خباتها إذ انحدر علينا رجل من هضبة أمامنا فسلم علينا ونحن مستوحشون وجلون فتأملتته ورددت السلام فإذا جميل



قلت: أجميل؟ قال: إى والله! وإذا به لا يتهاك جوعاً فحمت إلى قدر بها لبن فأدنيها منه وقلت أصب منها فشرب منها وتراجعت نفسه قلت: لقد تلفت ولقيت شراً ، فما أمرك؟ فقال ، أنا والله فى هذه الهضبة التى ترين منذ ثلاث ما أرى ما أنتظر أن أرى فرجة ، فلما رأيت خروج فتياتكم أنيتكم لأودعكم ، وأنا عائد إلى مصر ، فتحدثنا ساعة ثم ودعنا وشخص .

ولما ثقل المرض على جميل بمصر ، قال لبعض خلانه .  
هل لك فى أن أعطيك كل ما أملك على أن تفعل شيئاً أعده إليك؟ فقال : اللهم نعم ، قال : إذا أنا مت فخذ حلى هذه التى فى عيتى فاعز لها جانباً ، وكل شيء سواها لك ، وارحل إلى رهط بنى الأحب من عنزة وهم رهط بثينة فإذا صرت إليهم فضع على ناقى رحلها واركبها ثم البس حلى هذه واشققها ، ثم قف على مكان مرتفع وأنشد هذه الأبيات وهى :

صدع النعى وما كنى بجميل      وثوى بمصر ثواء غير قهول  
ولقد أجز الذيل فى وادى القرى      نشوان بين مزارع ونخيل  
قوى بثينة فاندبى بعويل      وابكى خليلك دون كل خليل  
وهكذا مات جميل أعف حب وأكرمه .

وقدم الرجل إلى رهط بثينة ونادى بالشعر فخرجت إليه امرأة يتبعها نسوة ، وقد فرعن طولاً وبرزت أمامهن كأنها بدز قد برزت فى دجنة ، وهى تتعثر فى مرطها وقالت للرجل :

والله لئن كنت صادقا لقد قتلتني فأخرج الرجل حلة جميل ، فلما  
رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها ، وكانت هي بثينة .

واجتمع نساء الحى يبكين معها ويندبن جميلا .

وقالت بثينة ترثيه :

ولن سلوى عن جميل لساعة      من الدهر ما حانت ولا حان حينها  
سواء علينا يا جميل بن معمر      إذا مت بأساء الحياة ولينها

---

( ٢ )

## قصة

عروة بن حزام وعفراء بنت عقال

من بني عذرة

نشأ عروة يتيمًا فقيرًا في حجر عمه عقال ، وكانت عفراء بنت عمه  
ترباً له يلعبان معاً ويجمعان دائماً حتى تألف كل واحد منهما صاحبه  
إلفاً شديداً وكان عمه عقال يقول لعروة وقد رأى اتلافيهما : أبشر  
يا بني ستكون عفراء من نصيبك إن شاء الله .

وامتدت بين الصبيين أواصر المودة حتى بلغ عروة مبلغ الرجال  
وبلغت عفراء مبلغ النساء فرسخت في قلبيهما جذور المحوى .

ففى عروة إلى عمته هند بنت مہاصر وقال لها : يا عمه إني مكلمك  
وأنا منك مستح قد ضقت ذرعاً بما أنا فيه .

فذهبت عمته إلى أخيها فقالت : يا أخى إني أتيتك فى حاجة وأحب  
أن تحسن فيها الرد فإن الله يأجرك .

فقال : سلى ما شئت فإني مجيبك . فقالت : أشتى عليك أن تزوج  
ابنتك عفراء من عروة ، فقال : هو أحب الناس عندي ولن أرفض  
إلا به وإن كان لا مال له ، ولسنا فى عجلة من أمرنا .

فطابت نفس عروة بكلمات عمه وسكن بعض السكون ، ولكن أم  
عفراء كانت سيئة الرأى فى عروة فهى تريد لا بنتها زوجاً ذا مال ووفر .  
فلما سمع أن رجلاً من قومه ذا يسار ومال كثير يريد أن ينخطب  
عفراء دنا من عمه فى لهفة وقال :

يا عم إنك قد عرفت حتى وقرايى فأنا ولدك ربيت فى حجرك

وقد بلغنى أن رجلا خطب عفراء فإن أجبتة إلى طلبه قتلتنى وسفكت دى فأشددك الله ورحمى ورحمى .

فرق له عمه وقال له: يا بنى أنت معدم وحالنا قرية من حالك ، أما أنا فلست مخرجا عفراء إلى رجل غيرك ، غير أن أمها تأبى أن تزوجها إلا بمهر غال .

فاضطرب عروة واشتتت به الحال وذهب إلى أمها يلاطفها ويدارياها ولكنها أبت أن تجيبه إلا بما تحتكمه من المهر على أن يسوق شطراً منه معجلاً .

فظهرت الحقيقة ناصعة أمام عروة فليس هناك إلا المال الذى تحتكم به أمها .

وكان له ابن عم موسر يقيم بالشام فرأى أن يزوره ويسأله العون وحدث عمه وزوجته بعزمه على ذلك فصوباه وعاهداه بالألا يحدثا أى حدث حتى يعود من سفره .

فلما كانت ليلة سفره جلس مع عفراء ومن حولهما بنات الحى من بنى عذرة يتحدثون حتى أصبحوا فودع عفراء وودع الحى وشد على راحلته . وخرج معه فتيان من أصدقائه فكان طول سفره ساهيا فإن كباه لا يجيب ، وكان مشغولا بحب عفراء حتى بلغ دار ابن عمه فقص عليه حكايته مع عفراء .

فوصله ابن عمه وكساه وأعطاه مائة من الإبل فعاد إلى قومه والدنيا لاتسعه من الغبطة بما نال .

وكان رجل من أهل الشام يمت بالنصر إلى بنى أمية قد نزل في بنى عذرة ، وكان ذا مال فحضر بعض إبله ووهب للناس وأطعمهم ، فليح عفراء تمشي بين بنات الحى فأعجبته فسأل عن أيها وخطبها إليه فاعتذر وقال : إني قد سميتها إلى ابن أخ لي يعد لها عندى ، وليس لغيره سبيل إليها فقال الرجل : إني أرغبك في المهر ، فقال : لا حاجة لي بمالك . فعدل إلى أمها فرضيت به لبذله وكثرة ماله ووعدته خيراً وذهبت إلى زوجها تعاتبه وقالت : أى خير في عروة حتى نحتبس ابنتي عليه ، ألا ترى أن الغنى قد جاءها يطرق عليها بابها ؟ وإقته ما ندرى أعروة حتى أم ميت ؟

وهل ينقلب إليك بخير أم لا ؟ إنك تحرم ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً ، وألحت على زوجها حتى لان ورضى وقال : إن عاد لي بخاطباً أجبتة ، فأرسلت إلى الرجل فأعلمته .

فلما كان الغد نحر الرجل جزوراً عدة ، وأطعم الناس ووهب للفقراء وجمع الحى على طعامه وكان فيهم أبو عفراء .

فلما طعموا عاد الرجل إلى خطبة عفراء فأجابها أبوها وزوجة فساق إليه الرجل مهراً جليلاً فتأكد عيش عفراء وقالت :

يا عرو إن الحى قد تقضوا عهد الإله وحاولوا الغدرا وأقام الرجل بالحى ثلاثة أيام ثم ارتحل بعفراء إلى الشام .

وعمد أبوها إلى قبر عتيق فجده وسواه ، وسأل أهل الحى أن يكتبوا أمرها ، وقدم عروة بعد أيام وهو يكاد يطير من شوقه إلى عفراء فنعماها أبوها إليه وذهب به إلى ذلك القبر فكان المسكين يختلف إليه وهو مضى هالك ، فتسللت إليه جارية من الحى فكشفت له عن جلية الخبر .

فهام عروة على وجهه وترك الحى إلى الشام لجعل يسأل عن الرجل فدلوه عليه فزل ضعفاً عليه بغير أن يعرفه بنفسه .

فأكرمه الرجل وأحسن ضيافته ولبث في ضيافته أياماً ثم قال : يوماً لجارية بالدار : هل لك في معروف تصنعينه بي ؟ فقالت : نعم . قال : تدفين غامى هذا إلى مولاتك .

فقالت : بشما تفعل أما تستحي لقولك يا رجل ؟ فقال لها : ويحك هى والله ابنة عمى وما أحد منا إلا وهو أعز على صاحبه من الناس فاطرحى هذا الخاتم فى صحنها فإن أنكرت عليك فقولى لها : لقد سقط الخاتم من ضيفك ، فرقت الأمة له وفعلت ما أمرها به .

فلما شربت عفراء لبن الصباح رأت الخاتم فعرفته فشبهت ، ثم قالت للأمة : اصدقينى الخبر ، فصدقها .

فلما جاء زوجها قالت له : أتدرى من هو ضيفك ؟ فقال : نعم هو فلان بن فلان ، وذلك للنسب الذى انتسب له عروة فقالت : كلا واقه بل هو عروة بن خزام ابن عمى وقد أخنى عنك نفسه حياء منك .

فدعاه زوجها وقال له: لم يا أخى تخفى عني؟ أنت عندي في الرحب والسعة .

وخرج الزوج وترك عروة مع عفراء يتحدثان ودمس لهما أمتهم لتستمع حديثهما فلما انفردا ببعضهما اشيا كيا فطالت الشكوى . وجعل عروة يبكي أحر بكاء وقامت عفراء ثم عادت تحمل إليه شرباً لترفعه عنه حزنه .

فقال: والله يا أختاه ما دخل جوفى حرام قط، ولا ارتكبته منذ كنت، ولو استحللت حراماً لكنت قد استحللت منك فأنت حظي من الدنيا وقد ذهبت مني وذهبت من بعدك الدنيا ولن أعيش بعد ذلك . وقد أجزل زوجك وأحسن وهو الرجل الكريم وأنا مستح منه، ووالله لا أقيم عندكم بعد اليوم وقد ظهرت حقيقتي له ، ولست أخفى عنك أتى راحل إلى مني . فبكى عفراء وبكى عروة .

فلما جاء زوجها أخبرته أمتهم بما دار بينهما فرق قلب الرجل وقال : يا عفراء امنعي ابن عمك من السفر، قالت : إنه لا يمتنع فهو والله أكرم وأشد حيلة من أن يقيم بيننا من بعد ما جرى له معك . فدعاه زوجها وقال: يا أخى اتق الله في نفسك، فقد عرفت خبرك وإنك إن رحلت تلفت زوجك ، ووالله لا أمتعك من رؤيتها أبداً . ولئن شئت لئن أفرقتك وأتيتك فقلت بإرضيا .

فجزاه عروة خيراً وأتت عليه وقال له:



إنما كان الطمع فيها آفتى وقد يئست منها وحملت نفسى على الصبر عليها . فإن الصبر يسلى والله يقضى من أمرى بما يشاء . فزودوه وأكرموه وشيعوه فانصرف .

فلما رحل عنهم انتكس بعد قوته وتماسكه وأصابه غشى وخفقان فكان كلما أغشى عليه ألقى على وجهه خمارا لعفراء كانت قد زودته به فيفيق ، والتقى به فى الطريق عراف البهامة فسأله عما به من وجع ، فقال له عروة : ألك علم بالأوجاع ؟ فقال : نعم .  
فأنشأ عروة يقول :

أقول لعراف البهامة داوى فإنك إن داويتى لطبيب  
عشية لا عفراء منك بعيدة . فتسلو ولا عفراء منك قريب  
وإني لتغشاني لذكريك هزة لها بين جلدى والعظام ديب  
وبلغ عروة أرض الحى وقد أنحله الضنى ، وكانت له أخوات وعالة  
وجلة فقم من حوله يتوجمن لوجعه .

وزاره فتيان الحى وقال له بعضهم : مهلا فإنك قاتل نفسك فاتق الله فيها ، فقال له :

بى اليأس والداء الهيام سقيته فإياك عنى لا يكن بك ما ييا  
وزاره صديق وسأله عن حاله فرد عليه بصوت ضعيف :

كأن قطاة علق بجناحها على كبدى من شدة الخفقان  
واشتد به المرض فالتفت إلى أخواته وقال :

من كان من أخواتى با كيا أبدا فاليوم إني أراى اليوم مقبوضا

وقضى إلى رحمة ربه فبرزت أخواته كأنهن الدى فشققن جيوبهن  
وضربن صدورهن فأبكين كل من حضر .

وبلغ عفرأ خبره فقامت لزوجها فقالت :

قد كان من خبر ابن عمى ما بلغك ، والله ما عرفت عنه قط إلا الحسن  
الجميل ، وقد مات فى وبسبى ولا بد لى من أن أندبه ، وأقيم مأتما عليه  
فقال : أفعلى فقالت ترثيه :

ألا أيها الركب المنجبون ويحكم بحق نعيم عروة بن حزام  
فلا تنهأ الفتيان بمدك لنة ولا رجعوا من غيبة بسلام

وأقامت تنديه ثلاثة أيام ثم لحقت به فى اليوم الرابع .

وبلغ معاوية بن أبى سفيان خبرهما فقال :

لو علمت بحال هذين الحزين الكرميين لجمعت بينهما .

( ٣ )

## قصة

قيس بن ذريح اللثبي ولبنى بنت الحباب الكعبية

حكوا أن قيس بن ذريح الليثي رضيع الإمام الحسين بن علي  
ابن أبي طالب رضي الله عنهما إذ أوضعت أمه الإمام الحسين .

وكان منزل قومه في ظاهر المدينة المنورة في ضاحية اسمها شرف  
فمر قيس يوماً لبعض حاجته بجنيام بني كعب بن خزاعة فوقف على  
خيمة منها ورجال الحى قد خرجوا في سفر لهم .

وكانت خيمة لبنى بنت الحجاب الكعبية فاستسقى ماء فخرجت إليه  
به وسقته ، وكانت فتاة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام ، فلما  
رأها وقعت في نفسه وشرب الماء فقالت : أتزل وتبرد عندنا ؟ فقال  
نعم : ونزل بهم .

وجاء أبوها فحضر له وأكرمه فأنصرف قيس وفي قلبه من لبنى  
حر لا يطفأ فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورواه الناس ، ثم زارها  
يوماً آخر وقد اشتد وجده بها فسلم فظهرت له وردت سلامه وتحفت  
به فشكا إليها ما يجد بها وما يلقى من حبها ، وشكت إليه مثل ذلك  
فأطالت وعرف كل واحد منهما ماله عند صاحبه .

فأنصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها فأبى عليه  
وقال : يا بني عليك يا حدى بنات عمك فمن أحق بك .

وكان ذريح كثير المال موسراً فأحب ألا يخرج ابنه إلى  
غريبة .

فانصرف قيس وقد ساء ما خاطبه أبوه به فأق أمه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه فلم يجد عندها ما يجب

فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وابن أبي عتيق حفيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فشكا إليهما ما به وما رد عليه أبوه .

فقال له الحسين : أنا أكفيك .

ومشى معه إلى أبي لبني فلما علم بقدمه أعظمه ووثب إليه وقال : يا بن رسول الله ما جاء بك ؟ ألا بعثت إلى فآتيك ؟ قال : إن الذي جئت فيه يوجب قصدك وقد جئتكم خاطباً ابنتك لبني لقيس بن ذريح فقال : يا بن رسول الله ما كنا لنبغى لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا ، وأن يكون ذلك عن أمره فإننا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً ومبة علينا .

فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحاً وقومه وهم مجتمعون فقاموا إليه إعظاماً به وقالوا له ، مثل قول الخزاعين ، فقال لذريح : أقسمت عليك ألا خطبت لبني لابنك قيس ؟ قال : السمع والطاعة لأمرك .

وخرج في وجوه قومه حتى أتوا لبني فخطبها ذريح لأبيها على ابنه فزوجه إياها وزفت إليه بعد ذلك :

وأقامت معه مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئاً .

وكان قيس أبر الناس بأمه فألمته لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمه في نفسها وقالت : لقد شغلت هذه المرأة ولدى عن برى غير أنها لم تر للكلام في ذلك موضعاً حتى مرض قيس مرضاً شديداً ، فلما برأ من علته قالت أمه لآييه : لقد خشيت أن يموت قيس وما يترك خلفاً ، وقد حرم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذو مال فبصير مالك إلى الكلالة ، وأرى أن تزوج قيساً من امرأة غير لبني لعل الله أن يرزقه ولداً وألحت عليه في ذلك .

فأهل قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال : يا قيس إنك اعتللت هذه العلة تخفت عليك ولا ولد لك وليس لي ولد سواك ، وإن لبني ليست بولود فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقر به عينك وأعينا .

فقال قيس : ولست متزوجاً غيرها أبداً ، فقال له أبوه : فإن في مالي سعة فقتسر بالإمام ، قال ولا أسوءها بشيء أبداً والله .

فقال له أبوه : فياني أقسم عليك إلا طلقتهما فأبى وقال : الموت والله أسهل على من ذلك ولكي أخيرك خصلة من ثلاث بخصال قال : وما هي ؟ قال : تزوج أنت يا أبت فلعل الله يرزقك ولداً غيري ، قال : فما في فضلة لذلك . قال : فدعني أرتحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعاً لو مت في على هذه . قال : ولا هذه . قال : فياني أدع لبني عندك وأرتحل عنك

وحدى لعل أسلوها فإنى ما أحب ، بعد أن تكون نفسى طيبة ، أنها  
فى خيالى .

فقال أبوه : إنى لا أَرْضى إلا بطلاقها وحلف لا يَكُنْه سَقَف بيت  
أبدا حتى يطلق لبنى .

فكان أبوه يخرج ليقف فى حر الشمس ويحىء قيس فيقف  
إلى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى ينفى الفئء فينصرف  
عنه ويدخل إلى لبنى فيعانقها وتعانقه ويكى وتبكى معه وتقول  
له : يا قيس لا تطع أباك فهلك وتهلكنى فيقول : ما كنت لأطيع أحدا  
فك أبدا وأقام على ذلك بضعة سنين .

فكان يستأذن على أبويه ليزورهما فيردانه حتى يطلق لبنى .  
فاضطر مرغماً إلى طلاقها .

وخرج رجل من أهل المدينة اسمه عبدالله بن صفوان فزار  
ذريح وعاتبه على فعلته .

وقال : ما حملك على أن فرقت بينهما أما علمت أن عمر بن الخطاب  
قال : ما أبالى أفرقت بين الرجل وزوجه أم مشيت إليهما بالسيف .

فلما طلقت لبنى من قيس لم يلبث حتى استطار عقله ولحقه  
مثل الجنون وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يكى وينشج  
أحر نشيج .

وبلغ لبني خبر طلاقها فأرسلت إلى أبيها ليحملها إلى أهلها فأقبل  
أبوها بهودج على ناقة ويابل تحمل أثاثها .

فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها وقال : ويحك ! ما دهاني فيكم  
فقلت : لا تسألني وصل لبني فذهب إلى خباتها فنعه قومها . فأقبلت عليه  
امرأة من قومه وقالت : مالك ويحك ! إنك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل  
هذه لبني ترتحل الليلة أو غدا .

فسقط مغشياً عليه لا يعقل فلما أفاق أنشد يكيها :

وإني لمن دمع عيـني بالبكا	حذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليـلة	فراق حبيب لم يـن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيـتى	بكفيك إلا أن ما حلن حائن

وخرج يمشي بين مضارب قومه يكيها ويقول .

يقولون لبني فتنة كنت قبلها	بخير فلا تنـم عليها وطلق
فطاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي	وأقررت عين الشامت المتخلق
وددت وبيت الله أني عصيتهم	وحملت في رضوانها كل موبق
وكلفت خوض البحر والبحر زآخر	أبيت على أثـباج موج مغرق
كأنى أرى الناس المحيين بعدها	عصارة ماء الحنظل المتفلق
فتنكر عيني بعدها كل منظر	ويكره سمعى بعدها كل مغرق

ولما ارتحل قومها أراد أن يتبعها فلم أن أباهاسيمنعه من المسير



معها فوق ينظر إليهم ويكي حتى غابوا عن عينه ففكر راجعاً ورأى  
أثر خف بعيرها على الثرى فأكب عليه يقبله فعنفه قومه على تقبيل  
التراب فأشار إلى التراب يقول :

وما أحبت أرضكم ولكن      أقبل أثر من وطئ الترابا  
لقد لاقيت من كلني بلبنى      بلاء ما أسيع به الشرابا  
إذا نادى المنادى باسم لبنى      عيت فإطيق له جوابا

ولما خلا بنفسه أقبل يلوم نفسه على طلاقها وخضوعه لرغبة أبيه  
ويقول: ليتني رحلت بها عن بلد أبي فلم أر ما يفعل ولم يرني فكان إذا  
فقدني أقطع عما يفعله وإذا فقدته لم أخرج من فعله، وما كان على لو كنت  
اعتزلته وأقت بها في حيها أو في بعض بوادي العرب أو عصيته  
فلم أطعه، هذه جنائتي على نفسي فلا لوم على أحد وأناذا ميت بما فعلته  
وهل من سبيل إلى لبني بعد الطلاق؟ وبكى بعد هذا التأنيب والتقرير  
وقال :

الا ليت لبني في خلاء تزورني      فأشكو إليها لو عني ثم ترجع  
فيامن لقلب ما يفيق من الهوى      ويا من لعين بالصباة تدمع

وتأملت أمه لآله فبعثت له قتيات من قومه، وأوصتهن بأن يداعبنه  
ويذكرن العيوب بلبنى ويعيرنه بما يفعله من أجلها فاجتمعن حواله  
يمازحته وهو لاه عنهن فلما أطلن القول التفت إليهن وقال :

يقر بعيني قربها ويزيدني بها كلفاً من كان عندي يعيها  
وكم قاتل قد قال تب فعصيته وتلك لعمري توبة لا أنوبها  
فيا نفس صبر ألسنت والله فاعلى بأول نفس غاب عنها حبيبها

ومرض المسكين من شدة وجده وحزنه ، فسأل أبوه فتيات الحى  
أن يعدنه ويحدثه لعله يرضى بإحداهن ويسلو بعض هواه فلما اجتمعن  
عنده وأُطلن عليه قال :

عيد قيس من حب لبنى ولبنى داء قيس والحب داء شديد  
وإذا عادنى العوائد يوماً قالت العين لا أرى من أريد  
ليت لبنى تعودنى ثم أقضى إنها لا تعود فيمن يعود  
ودخل عليه أبوه مع الطبيب يعوده فأنبه ولامه وقال : يا بنى ! الله الله  
فى نفسك فإنك ميت إن دمت على هذه الحال فقال :

وفى عروة العذرى إن مت أسوة وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند  
وبنى مثل ما قد نابته غير أتى إلى أجل لم يأتى وقته بعد  
هل الحب إلا عبرة بعد زفرة وحر على الأحشاء ليس له برد  
وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا علم من أَرْضكم لم يكن يبدو  
فرجع أبوه إلى قومه حزينا أسيفاً وحدثهم بما جرى على قيس  
فأشاروا عليه أن يزين له المسير إلى أحياء العرب والتزول عليهم ففعل  
عينه أن تقع على امرأة تعجبه ، فأقسم عليه أبوه أن يفعل ذلك فسار حتى

نزل بحى من قبيلة فزارة فرأى جارية حسناء قد حشرت برقع الخنزير عن وجهها وهى كالبدريلة تمه، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: اسمى لبني فسقط على وجهه مغشياً عليه فارتاعت لما حل به ونضحت على وجهه الماء ثم قالت، إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون.

فلما أفاق سأله عن نسبه فى القبائل فذكره لها، قالت: قد علمت أنك قيس، ولكن نشدتك الله وبحق لبني إلا أصبت من طعامنا. وقدمت إليه طعاماً فأصاب منه بإصبعه وركب ناقته منصرفاً.

وجاء على الأثر أخ لها كان غائباً فرأى مناخ الناقة فسألهم عنه فأخبروه فلقق به حتى رده إلى منزله، وحلف عليه ليقمين عنده شهراً وسر به الفزارى وأعجب بحديثه وعقله وروايته وعرض عليه أن يصاهره، فقال له قيس: يا هذا إن فيك لرغبة ولكنى فى شغل لا ينتفع بى معه فعاوده الحديث مرات، حتى اجتمع أهل الفتى الفزارى حوله يلومونه على رغبته فى مصاهرة قيس لأن ذلك يصح سبة عليهم، فقال لهم: دعونى وشأنى فى مثل هذا الفتى يرغب الكرام.

وألح الفزارى على قيس برغبته حتى أجابه فقعد له على أخته لبني. وقال له: إني أسوق عنك صداقها.

فقال له قيس: أنا والله يا أخى أكثر قوماً لا فلا تكلف نفسك شيئاً، إني عائد إلى قومي لأسوق إليكم المهر.

وارتحل وأعلم أباه بما كان منه فسر أبوه وساق المهر عنه .

ورجع قيس إلى الفزاريين فأدخلوا عليه زوجته ، فهاش لها ولادنا منها ولا خاطبها بكلمة ولا نظر إليها ، وأقام على ذلك أياماً كثيرة ، ثم أخبر أهلها أنه يريد العودة إلى قومه لبعض شأنه فأذنوا له في ذلك فانصرف إلى المدينة وكان بها صديق له من الأنصار فلما التقيا حدثه الأنصاري أن خبر زواجه قل إلى ابني فغمها وقالت : إنه لغدار ولقد كنت أرفض الزواج كلما عرضه أهلي على فأنا الآن أجيبهم .

وكان أبو لبني قد شكى قيساً إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان وقال : إنه يتعرض لابنتي بعد أن طلقها فكتب معاوية إلى والي المدينة مروان بن الحكم وأمره أن يهدد دم قيس إن تعرض للبنى .

وأمر أباهما أن يزوجها رجلاً من كندة حليف قريش ، فزوجها أبوها منه فأحاط بها نساء الحلي ليلة زفافها وجعلن يغنين :

لا حر بواديه	ليبنى زوجها أصبح
بمابات تناجيه	له فضل على الناس
صريع في بواكيه	وقيس ميت حى
وبعداً لنواعيه	فلا يعبده الله

فجزع قيس للخبر جزوا شديداً وجعل يبكي أحر بكا ، ثم ركب  
من فوره حتى أتى الحى الذى كانت فيه لبني فناداه نساء الحى ماتصنع  
الآن هنا وقد نقلت لبني إلى زوجها ؟

واعترضه الفتيان بالملامة وهو ساكت لا يجيبهم ، حتى أتى موضع  
خبائها فنزل عن راحلته وجعل يمرغ خده على ترابها ويبكى ويقول :

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكا      إلى الله فقد الوالدين يتيم  
يتيم جفاه الأقربون فجسمه      نحيل وعهد الوالدين قديم  
بكت دارهم من نأيهم فتهللت      دموى فأى الجازعين ألوم ؟

وقام إلى بعيره فارتحل إلى قومه ، وقال يناجى لبني :

ألبنى لقد حلت عليك مصيبتى      غداة غد إذ حل ما أتوقع  
أخبرت أنى فيك ميت حسرتى      فما فاض من عينيك للوجد مدمع  
صبيحة جاء العائدات يعدننى      فظلت على العائدات تفجع  
إذا أنت لم تبكى على جنازة      لديك فلا تبكى غداً حين أرفع

وبلغ ديار قومه فاقطع قطعة من إبله وأخبر أباه أنه يريد المدينة  
ليبيعها ويشتري بثمنها قوتاً لأهله ، فلما نزل المدينة بالإبل مر به زوج  
لبني وهما لا يتعارفان فساومه زوج لبني بناقته منها فباعه إياها ، وقال  
له الآخر : إذا كان الغدأتنى فى دار كثير بن الصلت فاقبض الثمن فريضى  
قيس وانصرف زوج لبني إلى داره وقال للبني : إنى ابتعت ناقه من رجل  
من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض الثمن فأعدى له طعاماً فقعلت .

فلما كان من الغد حضر قيس وصاح بالخدمة أن قولي لسيدك :  
صاحب الناقة بالباب .

فعرفت لبني نعمته ولكنها لم تتكلم ، فقال زوجها للجارية : قولي له :  
ادخل فدخل فجلس فقالت لبني للخدمة : قولي له : يا قتي مالي أراك  
أشعث أغبر ، فلما سمع ذلك من الخدمة تنهد ثم قال لها : هكذا تكون  
حال من فارق الأجابة واختار الموت على الحياة وبكى .

فقالت لبني للخدمة : قولي له : حدثنا حديثك فلما بدأ يتكلم  
كشفت الحجاب عن نفسها وقالت : حسبك قد عرفنا حديثك  
وأسبلت الحجاب .

فبهت لوقته ثم انفجر باكيا ونهض فخرج .  
فناداه زوجها : ويحك ما قصتك ؟ ارجع فاقبض ثمن ناقتك وإن  
شئت زدناك ، فلم يكلمه قيس وخرج إلى ناقته فارتحل .

وقالت لبني زوجها : ويحك هذا قيس بن ذريح فاحملك على ما فعلت  
به ؟ فقال : ما كنت أعرفه من قبل .

وجعل قيس يبكي في الطريق حتى بلغ الحى واجتمع بأهله .

فدخل إليه أبوه ورجال قومه فعاتبوه وناشدوه الله أن يقلع عن  
غيبه ، فقال : ويحكم أتروني أمرضت نفسي أم وجدت لها سلوة بعد الأيام

فاخترت الهم والبلاء أم صنعت بنفسى هذا الصنيع؟ هذا ما اختاره لى  
أبوإى وقتلانى به .

فبكى أبوه ودعا له بالفرج مما نزل به ، فقال له قيس :

لقد عذبتنى يا حبيب لبنى      ققع إما بموت أو حياة  
فإن الموت أروح من حياة      تدوم على التباعدا الشتات  
وقال الأقربون : تعز عنها      فقلت لهم : إذن حانت وفاتى

وشهر أمر قيس بالمدينة فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بسيرته  
وغنى فى شعره كبار المغنين كالغريض ومعبد ومالك فطرب الناس  
ولكنهم حزنوا لقيس .

ودخل زوج لبنى عليها منضبا معانبا وقال : لقد فضحتنى بذكرك  
فغضبت وقالت له : يا هذا إنى والله ما تزوجتك رغبة فىك ولا فى مالك  
ولا خفى أمرى عليك فإنك تعلم أننى كنت زوجة لقيس قبلك ، وأنه  
أكره على طلاقى ووافقه ما قبلت الزواج إلا لأن الحاكم قد أهدر دمه  
إذا ألم بحينا نخشيت أن يحمله الحب على المخاطرة فيقتل فتزوجتك ، وإن  
أمرك الآن إليك ففارقنى فلا حاجة بى إليك .

فأمسك عن جوابها وجعل يترضاها وجمع لها جوارى المدينة  
يضن لها بشعر قيس ، ولكنها كانت تزداد تماديا وبعدا ولا تزال تبكى  
كلما سمعت بأخبار قيس .

وكان بالمدينة امرأة من موالى بنى زهرة اسمها بريكة من أطرف النساء وأكرمهن وكان لزوجها دار ضيافة بالمدينة فرحل إليها قيس فوثب إليه غلمان الدار ليحطوا رحله ، فقال قيس : لن أنزل حتى ألقى بريكة فخرجت إليه وسلمت عليه ورحبت به ، فقال : إني ما قصدتك إلا لحاجة في نفسي فقالت : إن حاجتك مقضية كائنه ما كانت . فقال : أنا قيس بن ذريح . قالت : حياك الله وقربك إن ذكرك لجديد عندنا في كل وقت . فقال : أما حاجتي إليك فهي أن أرى لبنى نظرة واحدة . فقالت : ذلك لك على .

فزل قيس بدار الضيافة وأخفت بريكة أمره ثم أهدي لها هدايا كثيرة ، وقال لها : لا طفيها هي وزوجها حتى يأنس بك ففعلت .

وزارتها مراراً ثم قالت لزوجها : أخبرني عنك هل أنت خير من زوجي؟ قال : لا . فقالت : وهل لبنى خير مني؟ فقال : لا ، فقالت : فإلى أزورها ولا تزورنى . فقال : هذا أمر متروك لها ، فأتتها بريكة وسألها أن تزورها بدار الضيافة وأمرت إليها أن قيساً عندها فأسرعت لبنى بزيارتها فلما رآها قيس ورأته بكيا حتى كاد البكاء يتلفهما ، وجعلت تسأله عن أحواله وعن علة فيجيئها ويسألها عن حالها فتجيبه وأنشدها :

أعالج من نفسى بقايا حشاشة      على رفق والعائدات تعود  
فإن ذكرت لبنى هشت لذكراها      كما هشت للثدى الدور و ليد  
ولبت معها طول يومه يحذثها ويشكو لها أعف حديث وأكرم



شكوى حتى أمسى ولكنها لم تعد فقد شاع خبر اجتماعها .

فارتحل قيس يريد الشام فدخل إلى يزيد بن معاوية فشكا إليه ما به فرق له وقال: إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت . فقال: لا أريد ذلك ولكن أحب أن أقيم بحيث تقيم هي من البلاد فأعرف أخبارها وهذا يكفيني من غير أن يهدر دمي .

فأعدي يزيد له كتاباً من أبيه معاوية إلى والي المدينة بأن يتركوا قيساً وشأنه فيقيم حيث شاء وأحب ولا يعترض عليه أحد .

وكان بالمدينة سيد من سادات قريش اسمه عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وشهرته ابن أبي عتيق عرفه الناس كريماً سابقاً للسكرات، وكان شديد العطف على قيس يتوجع لوجهه ويروى في المجالس شعره في لبني فحدثته نفسه الكريمة أن يجمع شمل هذين الحبيبين فذهب إلى الإمامين الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وإلى عبد الله بن جعفر بن عمهما وقال لهم: إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني فيها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم عليه .

فاستجابوا لدعوته ومضى بهم إلى زوج لبني .

فلما رآهم أكبر سعيهم إليه فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق، فقال: هي مقضية كائنه ما كانت .

فقال له ابن أبي عتيق: أتقضيها لنا كائنه ما كانت من ملك أو مال

أبو أهل ؟ فقال : نعم . فقال له : تهب لهم ولي لبني زوجتك وتطلقها .

فقال : فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثا .

فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا من قبل أن هذه هي حاجة ابن أبي عتيق ولو علمنا ذلك ما سألناك فيها .

وعرضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم .

وحمل ابن أبي عتيق لبني من ساعته إلى منزله ، وبقيت عنده حتى انقضت عدتها ، فسأل القوم أباهما فزوجها قيسا وجمع الله شملهما .

---

( ٢ )

## قصة

### قيس وليلى العامريين

كانت منازل بني عامر في أقصى الشمال من الصحراء العربية بعد  
وادي القرى الذي فيه بنو عذرة .

وقيس بن الملوح وليلى بنت مهدي كلاهما من قبيلة بني حريش  
وهي تخدم من بني عامر .

كان قيس بن الملوح قتي عشيرته نسباً وثراء ، أبيض الوجه أجعد الشعر أحسن من رأيت من لداته ، وله أخوة يجلسون حول أيهم ولكنه كان أجملهم وأظرفهم وأكثرهم رواية لأشعار العرب .

وكانت ليلى بنت مهدي من أجمل النساء وأحسنهن جسماً وعقلاً وأفضلهن أدباً .

وأول لقاء بينهما وهما صبيان يرعيان الإبل ، فلما كبرا خرج قيس يوماً على قومه فوق ناقة كريمة ، وعليه حلتان من حلال الأمراء فر بنسوة يتحدثن وفيهن ليلى فأعجبهن جماله وكأله ودعونه إلى النزول والحديث معهن .

وكانت العرب ترى ذلك غير منكر أن يتحدث الفتيان إلى الفتيات . وكان قيس قد رجل جمته ( وضع العطر في مقدم رأسه ) ومس طيباً وتقلد سيفه ، فلما رأى ليلى بينهن ذكر أيام طفولتهما وهما يرعيان الإبل وذكر شعراً قاله فيها وحادثها ومن معها ، وأمر عبداً له كان معه فعقر لهن ناقته .

واستدار إلى ليلى فأطال الحديث معها فأقبلت عليه ، وصار كل واحد منهما مقبلاً على صاحبه معجباً به وأقاما على ذلك الحال حتى أمسيا فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلة شوقاً إليها ، فلما كان اليوم التالي أصبح فلبس حلته وركب ناقة أخرى فالتى ليلى قاعده بفناء بيتها وقد أحبه كما أحبا فذكرها بأيام طفولتهما وهما معاً وقال :

تعلقت ليلي وهى ذات ذؤابة ولم يبد للأتراب من نديها حجم  
صغيرين زعى البهم، ياليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

ولبت عندها يتحدثها حتى أمسيا فانصرف إلى أهله فبات بأطول  
من ليلته الأولى لم يغمض له جفن فأنشد يقول :

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزتنى إليك المضاجع  
أفنى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهـم بالليل جامع  
لقد ثبتت في القلب منك محبة كما ثبتت في راحتين الأصابع

ولبت فترة يتردد عليها طول نهاره ، حتى أقبل عليها يوماً كعادته  
وكان بمجلسها بعض أهل الحى فأعرضت عنه ، وأقبلت يتحدثها على غيره  
تريد بذلك محتته لتعلم ما فى قلبه ، فلما رأى منها ذلك الإعراض جزع  
جزعاً شديداً حتى بان فى وجهه وعرف فيه خافت عليه وأقبلت  
عليه تقول :

كلانا مظهر للناس بفضا وكل عند صاحبه مكين

فأشرق وجهه فرحاً فقد كشفت له عن قلبها وقالت له :

إنما أردت أن أمتحنك وإن الذى لك عندى حب ووفاء أكثر مما لى  
عندك وأعطى الله عهداً إن جالست بعد يومى هذا رجلاً سواك حتى  
أذوق الموت :

فانصرف عنها وهو أشد الناس سروراً وأقرم عيناً .

وعلم أهلها بعشقه لها فنعوه من زيارتها وصدوه فاشتد به الوجد  
عليها حتى مرض فزاره أهله يعزونه ويقولون له: نزوجك أنفـس جارية  
في عشيرتك فيأبى إلا ليلي ويهذى بها .

ففرج أبوه وأمه ورجان العشيرة إلى أبي ليلي فناشدوه الله والرحم  
وقالوا : إن قيساً مشرف على الموت وذهاب العقل ، وإنك لتفجعنا به  
وإن ابنتك ليست بأشرف منه ولا لك مثل ما لنا وقد حكمناك  
في المهر .

فأبى أبو ليلي وحلف بالله وبطلاق أمها أنه لا يزوجه بها أبداً  
ولا يفضح نفسه وعشيرته ولا يأتي بمـا يآته أحد من العرب ،  
فانصرفوا عنه .

وتدله قيس في حبها ونظم فيها الدرر الغالية من النسيب فقال :

ووالله ما أدري علام قتلتنى      وأى أمورى فيك ياليل أركب  
أأقطع جبل الوصل فالموت دونه      أم اشرب رتقا منكم ليس يشرب؟  
أم اهرب حتى لا أرى لى مجاوراً      أم اصنع ماذا أم أبوح فأغلب؟  
فأيها ياليل ما ترأضينه      فأنى لمظلوم وإنى لمعتب  
وعمد أبو ليلي إلى تزويجها من رجل من عشيرته فحمل الخبر إلى  
قيس فذهب عقله حزناً وغماً .

فقال أهل الحى لآييه : احجج به إلى البيت الحرام ودعه يتعلق

بأستار الكعبة ويدعو الله أن يعافيه بما به ويبخضها إليه ، فخرج به أبوه وبلغوا منى ، هنالك سمع قيس صائحاً بالليل ينادى : يا ليلي ! فصرخ صرخة عظيمة حتى ظن أهله أن نفسه قد تلفت وسقط مغشياً عليه وما أفاق حتى الصباح ، وكان حائل اللون ذا هلا . فأنشأ يقول :

عرضت على قلبي العزاء فقال لي : من الآن فإياس لا أعزك من صبر  
إذا بات من تهوى وأصبح نائياً فلا شيء أجدى من حلولك في القبر  
وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهبج أطراب الفؤاد وما يندري  
دعا باسم ليلي غيرها فكأنما أطار بليلي طائرأ كان في صدرى

فقال له أبوه : تعلق يا بني بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلي فتعلق بأستار الكعبة وقال : اللهم زدني ليلي حبا وربها كلفا ولا تنسى ذكرها أبدا .

وخرج قيس يوماً شاتياً فرأى زوج ليلي يصطلي وبين يديه جمرات فأنشأ قيس يخاطبه :

بربك هل ضمنت إليك ليلي قيل الصبح أو قبلت فاها ؟  
وهل رفت عليك قرون ليلي رفيف الأفحوانة في نداها ؟

فقال له : اللهم إذ حلفتني نعمم؛ فقبض قيس بكلتا يديه قبضتين من الجمر فأفارقهما حتى سقط مغشياً عليه وسقط الجمر مع لحم واحتيه ، فقام زوج ليلي منصرفاً وهو مغموم .

واشتد الهوى بالمسكين فكان يتحين الفرس حين يخرج رجال  
الحى إلى معاشهم فينزل إلى منزل ليلي فضاك بذلك أهلها ، وشكوه إلى  
الوالى فأهدر دمه لهم فحذروه عاقبة أمره فلم يبال وقال : الموت  
أروح لى فليتهم قتلونى . فلما علم أهلها بذلك ارتحلوا عن منازلهم وأبعدوا .

وعاد قيس إلى منازل ليلي فآلنى الحى قهراً ، فقصده إلى بيت ليلي  
فألصق صدره بثرأه وجعل يمرغ خديه .  
ويقول

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان فيك فإنه شغلى  
وأديم لحظ محددتى ليرى أن قد فهمت وعندكم عقلى  
وجن المسكين فقال قوله التى اختلس من أجلها عقله .

وهى

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها فهلا بشئ غير ليلي ابتلانى  
فقال الناس إن هذا البيت اعترض منه على قضاء الله .

وأنه سمع بالليل نداء فيه : أنت المتسخط على قضاء الله المعترض  
على أحكامه .

وخرج قيس بموكب ليلي فى رحيلها إلى بيتها الجديد فرآها على  
متن را حلتها فعرفها وعرفته فصعق وخر مغشياً عليه فأقبل فتيان من حى ليلي  
فأخذوه ، ومسحوا التراب عن وجهه وأسندوه إلى صدورهم ، وسألوا  
ليلى أن تقف له وقفة فرقت له وبدا منها الحزن والأسى ، وأوفدت



إليه جاريتها تقرأ عليه السلام وتقول : إني لو وجدت سبيلا إلى شفائك  
لوقيتك بنفسى .

### فقال

بى اليأس والداء الهيام أصابنى      فإياك عنى لا يكن بك ما يبا  
كان جفون العين تمشى دموعها      غداة رأت أظعان ليلي غواديا  
غروب أمرتها نواضح بزل      على عجل عجم يروين صاديا  
وأراد أحد أصدقائه أن يزوره فى الحى فقبل له : لقد هجر الحى  
إلى الفلاة وتوحش وما لنا به عهد ولا ندرى إلى أين سار، فخرج الرجل  
فى جماعة من أهله إلى الصحراء فبدا له قطع من الظباء بينها شبح إنسان  
يرى من خلال الظباء فعرفه الرجل بأنه قيس ونزل عن دابته وتخفف  
من ثيابه وجعل يمشى رويدا حتى بلغ أراك فارتقاها حتى بلغ أعلاها  
وأشرف على الظباء وعلى قيس، فإذا به وقد تدلى الشعر على وجهه فما كاد  
يعرفه فرفع قيس رأسه فأسرع الرجل وأنشد بيتاً من أشعار قيس  
فى ليلي وهو :

أتبكي على ليلي ونفسك باعدت      مزارك من ليلي وشعبا كما معا  
فنفرت الظباء وانبدفع قيس ينشد باقى القصيدة نشيداً رقيق النغم  
حلو التغنّى رحيم الصوت وقال :

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها      عن الجمل بعد الحلم أسبلتا معا  
وأذكر أيام الحى ثم أنثنى      على كبدى من خشية أن تصدعا  
فليست عشيات الحى برواجع      عليك ولكن خل عينيك تدععا

ورفع قيس رأسه إلى الرجل وقال له: من أنت حيالك الله؟ فقال: أنا  
نوفل بن مساحق، فحياه قيس، فقال له نوفل: ماذا أحدثت بعدى فى  
يأسك من ليلى فقال:

ألا حجبت ليلى وآلى أميرها      على يميننا جاهداً لا أزورها  
وأوعدتني فيها رجال أبوهمو      أنى وأبوها، خشنت لى صدورها  
على غير جرم غير أنى أحبها      وأن فؤادى رهنها وأسيرها  
وسنحت لقيس ظباء فقام يعدو فى أثرها حتى لحقها فضى معها  
وخلف صديقه نوفل مكروباً محزوناً.

وعاد قيس من سروحه بين الظباء فرأى رجلين قد صادتا ظبية  
فربطاهما بحبل وذهب بهما، فلما رآها قيس وهى تركض فى الجبال دمعت  
عيناه وقال لهما حلاهما وخذا مكانها شاة من غنمى، وأعطاهما شاة فحلا  
الجبال عن الظبية فولبت تعدوها ربة.

فقال قيس يخاطب الرجلين:

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذا      فى الحبل شبيها ليلى ثم غلاها  
إنى أرى اليوم فى أعطاف شاتكما      مشابها أشبهت ليلى فحلاها

ونظر إلى الظبية وهى تعدوها فقال:

أيا شبه ليلى لا تراعى فإتنى      لك اليوم من وحشية لصديق

وما شبه ليلي لو تلبثت ساعة لعل فؤادي من جواه يفيق  
تقر وقد أطلقتها من وثاقها فأنت ليلي لو علمت طليق

وخرج رجل إلى نجد في طلب بنية له فإذا هو بخيمة قد رفعت له  
وقد أصابه المطر فعدل إليها ورفع صوته فإذا امرأة قد كلبته وقالت :  
انزل فزل، ورأى إبلا وغنما فإذا أمر عظيم، فقالت لعييدها : سلوا هذا  
الرجل، من أين أقبل، فقال : ومن ناحية تهامة ونجد، فقالت : ادخل أيها الرجل  
فدخل إلى ناحية من الخيمة فأرخت بينها وبينه سترا ثم قالت : يا عبد الله  
أي بلاد نجد وطئت ؟ فقال : كلها، فقالت : عند من نزلت هناك ؟ فقال :  
نزلت ببني عامر . فتفتشت الصعداء ثم قالت فبأي بني عامر نزلت ؟  
فقال : ببني الحريش ، فبككت ثم قالت : فهل سمعت بذكر  
مقي منهم يقال له : قيس بن الملوح الملقب بالمجنون ؟ فقال : بلى والله وعلى  
أبيه نزلت ثم أتيت ولده قيساً فرأيت به هيم في تلك الفياق مع الوحش  
لا يعقل إلا إذا ذكرت له امرأة يقال لها : ليلي ، فيبكي وينشد أشعاراً  
قالها فيها .

فرفعت المرأة الست الذي بينهما فإذا فلقة قر لم تر عين الرجل  
مثلاً ، فبككت أحر بكاء حتى ظن أن قلبها قد تصدع، فقال لها : اتقي الله  
أيها المرأة في نفسك ، فقالت من خلال دموعها :

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقل فراجع  
بنفسى من لا يستقل يرحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

فقال لها الرجل : من أنت يا أمة الله وما قصتك ؟ فقالت :

أنا ليل المشثومة عليه غير المؤنسة له .

ولبت قين مع السائمة بهم في الصحراء ، يذهب إليه أهله كل يوم  
بطعامه فيوضع حيث يراه ، حتى إذا عادوا إلى الحى جاء فأكل  
من الطعام .

ولحق به صديق له يريد الحديث معه فلما رآه قيس وبلى وهو يتغنى  
بأبيات له فقال :

وإني لمن دمع عيني بالبكا	حذارأ لما قد كان أو هو كائن
وقالوا غدا أو بعد ذاك ليلة	فراق حبيب لم بين ، وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي	بكفيك إلا أن ما حان حائن

وعاد الصديق في اليوم التالى لعله يراه وطلبه فلم يجده .

وجاءت امرأة كانت تصنع له الطعام إلى الطعام الذى تركته له  
فوجدته بجاله .

فلما كان اليوم الثالث خرج أهله يبحثون عنه فلم يجدوه ، فخرجوا  
في اليوم الرابع فعمثوا به في واد كثير الحجارة ، وهو ميت بين تلك  
الحجارة فاحتمله أهله .

ولم تبق فتاة من بنى جعدة ولا بنى الحريش إلا خرجت حاسرة  
صارخة عليه تندبه .

واجتمع غنيان الحى يبيكونه أحر بكاء وينشجون عليه  
أشد نشيج .

وحضر حى ليلي معزين وتقدم أبوها فكان أشد القوم جزعا  
وبكاء عليه ويقول : ما علمنا أن الأمر يبلغ كل هذا ، ولكنى كنت  
امراً عريياً أخاف العار وقبح الاحدوثة . فما روى يوم كان أكثر  
باكية وباكياً على ميت من ذلك اليوم .



(٥)

قصة

سلامة القس

كانت سلامة مولدة من مولدات المدينة المنورة ، وكان مولاهما سهيل بن عبد الرحمن القرشي ، وكانت حلوة الوجه ظريفة حسنة الصوت ضاربة بالعود . وتقول الشعر ، أحسن مولدات المدينة ، أنقنت الموسيقى عن جميلة سيدة المغنيات بالمدينة ، وكان ذلك في عصر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ، فاختار عثمان بن حيان المري والياً على المدينة ، فلما قدم قال له قوم من وجوه المدينة : إنك قد وليت على كثرة من الفساد فإن كنت تريد أن تصلح فطهرها من الفناء والمغنين ؟ فاهتم الوالي بذلك وأفرد المغنين بمغادرة المدينة بعد ثلاثة أيام .

وكان من سادات قريش بالمدينة رجل عرف بالفضل والعفاف والصلاح اسمه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وشهرته ابن أبي عتيق وكان غائباً عن المدينة ، ثم عاد إليها في آخر ليلة من الأيام الثلاثة ، وكان كثير التردد على منزل سلامة معجبا بغنائها . فذهب إلى منزلها قبل أن يدخل منزله ، وقال لها : ما دخلت منزلي حتى جئتكم أسلم عليكم ! فقالت : إنك لا تدري من أمرنا شيئاً ! وأخبرته الخبر فخرج ، واستأذن ليزور الوالي عثمان بن حيان فأذن له فسلم عليه وذكر غيبته وأنه جاء للسلام عليه وشكروه على ما فعل من إخراج أهل الفناء وقال : هذا خير ما تصنع من أعمالك .

فقال : لقد أشار به على أصحابك ، فقال : أصبت ؛ ولكن ما تقول



أعزك الله في امرأة كان الغناء صناعتها وكانت أكرهت عليه ثم تركته وأقبلت على الصلاة والصيام وفعل الخير، وإنى رسولها إليك فهي توصل إليك وتعوذ بك أن تخرجها من جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده .

فقال له : إنى أتركها إكراماً لك ، فقال ابن أبي عتيق : إذن لا يرضى عنك الناس . ولكنى أرى أن تأتيك هي قسمك كلامها وتنظر إليها فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يترك تركتها .

قال : نعم .

فذهب إليها وقال : اجعلي معك مسبحة وتحشى ففعلت . فلما دخلت على عثمان حدثته فإذا هي من أعلم الناس بالناس ، وأعجب بها وحدثته عن آباءه وحوادثهم فسر منها كثيراً .

فقال لها ابن أبي عتيق اقرئي للأمير بعض القرآن فقرأته .

فقال لها : ترنمي بالهداء ففعلت فكثير تعجبه !

فقال له : كيف لو سمعته في صناعتها ، فلم يزل ينزله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغناء .

فقال لها ابن أبي عتيق : غنى ففنت .

سددن خصاص الخيم لما دخلته بكل لسان واضح وجبين

فقام الوالى من مجلسه وقعد بين يديها ، وقال لها : لا والله لا تخرجين من المدينة أبدا .

قال ابن أبى عتيق : إذن ينفر منك الناس ويقولون : أخرج من المدينة كل المغنين وأبقى سلامة .

قال الوالى : بل يبقى جميع المغنين فتركوهم .

وانتقلت سلامة بعد ذلك إلى مكة بعد أن بيعت إلى آل رمانة فكان يدخل عليها الشعراء فينشدون الشعر وتشدّم وتغنى لهم .

وكان المتردد عليها من الشعراء ابن قيس الرقيات والأجوص .

وكان بمكة رجل من القراء العباد الصالحين اسمه عبد الرحمن ابن أبى عمار يقبونه القس لتعبده ، فسمع غناء سلامة على غير عمد منه فبلغ منه كل مبلغ وشغف بها .

ألم ترها لا يسعد الله دارها إذا رجعت فى صوتها كيف تصنع؟  
تمد نظام القول ثم ترده إلى صلصل من صوتها يترجع

وذاع بين الناس حبه لسلامة حتى لقبوها بلقبه فقالوا  
سلامة القس .

وسمعه الناس يترنم متغزلا فيها يقول :

سلام هل لى منكوا ناصر أم هل لقلبى عنكوا زاجر ؟  
قد سمع الناس بوجدى بكم فمنهم اللائم والعاذر

فر يوما يستمعها فرآه مولاها فدعاه ليدخله عندها فيسمع منها  
فأنى عليه ، فقال له : فإنى أقعدك فى مكان تسمع منها ولا تراها فقال :  
أما هذا فتعم .

فأدخله داره وأجلسه حيث يسمع غناءها ، ثم أمرها فخرجت إليه  
فلما رآها علقت بقلبه فهام بها واشتهر وشاع خبره بالمدينة وجعل يتردد  
إلى منزل مولاها مدة طويلة ، ثم إن مولاها خرج يوما لبعض شأنه  
وخلفه مقبلا عندها

فقال له : أنا والله أحبك .

فقال لها : وأنا والله أحبك .

فقال : وأنا والله أشتى أن أعاقبك ، وأنت ترى المكان خاليا  
فما يمنعك منى ؟

قال بمعنى قول الله عز وجل :

والأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ،

فأكره أن تحول مودتى لك عداوة يوم القيامة .

ثم خرج من عندها وهو يبكي وما عاد إليها بعد ذلك .  
وهذا غاية ما بلغه الحب العف .

وحج يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو ولي عهد الخلافة  
الأموية، فلما قضى مناسك الحج سمع غناء سلامة فأعجبته، فلما ولي الخلافة  
أرسل رسله إلى مكة فاشترى سلامة من موالها بعشرين ألف دينار  
وخرج بها رسل الخلافة فشيّعها الناس من أهل مكة وقد حشروا  
حول القصر الذي نزلته قبل سقرها، فوقفت بينهم تحمل العود  
وغتهم وداعها :

فارقوني وقد علمت يقينا	ما لمن ذاق ميتة من إياب
أهل بيت تتابعوا للمنايا	ما على الدهر بعدم من عتاب
كم بذاك الحجون من حى صدق	وكهول أعفنة وشباب

ولم تزل تردد هذا الصوت حتى غابت وانتحب الناس بالبكاء  
عند ركوبها .

(٦)

قصة

فرحة العاشق

كان معبد اليقطيني غلاماً مولداً خلاصياً من مولدى المدينة المنورة  
أخذ الفناء عن جماعة من عليّة المغنين بالعراق مثل إسحاق وابن جامع،  
وكان منقطعاً إلى البرامكة فحكى عن نفسه فقال : كنت فى منزلى ذات  
يوم فإذا الباب يلق غرج غلامى ثم رجع وقال :

بالباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك ، فأذنت له فدخل على  
ما رأيت أحسن وجهاً منه ولا أنظف ثوباً ولا أجمل زياً منه ، دنف  
عليه آثار السقم ظاهراً ، فقال : إني أرجو لقاءك منذ مدة فلا أجد  
إليه سيلاً . وإن لى حاجة ، قلت : ما هى ؟ فأخرج ثلثمائة دينار فوضعتها  
بين يدي وقال : أسألك أن تقبلها وتصنع فى بيتين قلتهما لحنأ  
تغنينى به .

فقلت هاتهما فأنشدتهما وقال :

والله يا طرفى الجاني على بدنى    لتطفئن بدمعى لوعة الحزن  
أولا أبوحن حتى يحجبوا سكنى    فلا أراه ولو أدرجت فى كفى  
فصنعت فيهما لحنأ ثم غنيت إياه فأغنى عليه حتى ظننته قد مات  
ثم أفاق فقال :

أعد فذلك نفسى فناشدته الله فى نفسه وقلت : أخشى أن تموت .

فقال هيهات ، أنا أشق من ذلك .

وما زال يخضع لى ويتضرع حتى أعدته فصعق صعقة أشد من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد فاضت . فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه وقلت يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني فقد قضيت حاجتك ولست أحب أن أشرك في دمك .

فقال : يا هذا لا حاجة لى بالدنانير . فقلت : لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على شرطين ، قال : وما هما ، قلت :

أولا — أن تقيم عندي وتتحرّم بطعائى .

والثانية — أن تحدثنى بقصتك .

فقال : أفعل ما تريد .

فأخذت الدنانير ودعوت بطعام فأصاب منه إصابة خفيفة ، ثم غنّيته بشعر غيره فى معناه ، وهو يبكى ، ثم قال : الشرط أعزك الله فغنّيته فجعل يبكى أحر بكاء وينشج أشد نشيج .

فلما رأته قد خف ما به كررت عليه صوته مراراً . ثم قلت : حدثنى حديثك ، فقال :

أنا رجل من أهل المدينة خرجت يوماً متنزهاً فى ظاهرها ؛ وكان وادى العقيق قد فاض بمائه ، وكنت بين أقرانى وأخذانى .

( ٥٠ — الأغاني )

وخرج الجماهير فبصرنا بقينات قد خرجن لمثل ماخرجنا له فجلسن إلى جانبنا ، وألقيت فيهن فتاة كأنها قضيب قد طله الندى .  
فأطلنا الجلوس وهن قد أطلن حتى تفرق لباس وانصرفن فانصرفنا نحن وقد أبقيت قلبي جرحا بطينا اندماله .

فعدت إلى منزلى على غير هدى ، وخرجت من الغد إلى العقيق وليس به أحد فلم أر لها ولا لصاحباتها أثرا . ثم جعلت أتبعها في طرق المدينة وأسواقها فكان الأرض أضمرت فلم أحس بعين ولا أثر

وسقت حتى أيس منى أهلى .

وزارتى حاضتى وسألتى عن حالى فأخبرتها بقصتى ، فقالت :  
لابأس عليك ! هذه أيام الربيع وليس يبعد عنك المطر .  
وهذا العقيق فتخرج وأخرج معك فإن النسوة سيحضرن فإذا فعلمن ورأيتها اتبعنها حتى أعرف موضعها ثم أصل بينك وبينها وأسى لك فى تزويجها .

فكان نفسى اطمانت إلى ذلك ووثقت به فقويت وتراجعت نفسى .

جاء مطر بعقب ذلك فأسال الوادى وخرج الناس وخرجت مع إخوانى إليه فجلسنا مجلسنا الأول بعينه .  
فأكانا والنسوة إلا كفرسى رهان ، وأومات إلى حاضتى فجلست بالقرب منا ومنهن .



فأقبلت على إخواني وقلت لقد أحسن القائل حيث قال :  
 رمتي بسهم أقصد القلب وانثنت      وقد غادرت جرحاً به وندوبا  
 فأقبلت هي على صاحباتها فقالت : أحسن والله القائل ، وأحسن من .  
 من أجابه حيث يقول :

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا      نرى فرجاً يشفي السقام قريباً  
 فأمسكت عن الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها  
 وعرفت ما أرادت ، ثم تفرق الناس وانصرفنا وتبعنا حاضنتي حتى  
 عرفت منزلها ، فعادت إلى فأخذت يدي ومضينا إليها فلم تزل تتلطف  
 حتى وصلت إليها فتلاقينا وتداورنا على حال خالسة ومرافقة . وشاع  
 حديثي وحديثها وظهر ما بيني وبينها ، فحجبتها أبوها وتشدد عليها فحاولت  
 لقاءها فلم أقدر عليه فشكوت إلى أبي ما نالني ، وسألته خطبتها فضى أبي  
 ومشيخة أهلي إلى أبيها فخطبوا .

فقال : لو كان بدا بهذا قبل أن يفضحها ويشهرها لاسعفته بما التمس ،  
 ولكنه قد فضحها فلم أكن لأحقق قول الناس فيها . فانصرفت على بأس  
 منها ومن نفسي .

قال معبد :

ثم جلس مولاي الوزير جعفر بن يحيى البرمكي فأتته أغنية كهادق  
 فكان أول صوت غنيته صوتي في شعر الفتى فطرب عليه طرباً شديداً

وقال : ويحك : إن لهذا الصوت حديثاً فما هو ؟ فحدثته بأمر الفتى فأمر  
ياحضاره فأحضر من وقته واستعاده الحديث فأعاده عليه .

فقال جعفر : هي في ذمتي حتى أزوجه إياها . فطابت نفسه وأقام  
معنا ليلتنا حتى أصبح .

وغدا جعفر إلى الرشيد فحدثه الحديث فعجب منه ، وأمر ياحضارنا  
جميعاً وأمرني بأن أغنى الصوت ففניתه .

وسمع حديث الفتى فأمر من وقته بالكتابة إلى عامل الحجاز  
ياشخص الرجل وابنته وجميع أهله إلى حضرته ، فلم يمض إلا مسافة  
الطريق حتى حضر فخطب الرشيد إليه ابنته للفتى وأقسم عليه ألا يخالف  
أمره فأجابته وزوجه إياها .

وحمل الرشيد إليه ألف دينار لجهازها ، وألف دينار لنفقة الطريق  
وأمر للفتى بألف دينار ، وأمر جعفر لي وللفتى بألف دينار ، وصار الفتى  
بعد ذلك في جملة ندماء جعفر بن يحيى .

---

( ٧ )

قصة

محمد بن صالح العلو

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن  
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وكان قتي شاعراً صالح الشعر من ظرفاء أهل الحجاز ومن المتقدمين  
في الشعر من أهل البيت .

وكان في أيام الخليفة المتوكل على الله العباسي .

تخرج عليه مع جماعة من أهل بيته وأصحابه ، وكان يسكن بأهله  
ضاحية للدينة تدعى سويقة ، وهي منزل أبناء الإمام الحسن بن علي  
ابن أبي طالب جدهم .

حدث أنه كان يوماً بين إخوانه حتى انتصف الليل فقام فتقلد  
سيفه وخرج فتبعه بعض بني عمه وقد أشفقوا عليه من خروجه في ذلك  
الوقت فالتفت إليهم مبتسماً وقال :

إذا ما اشتملت السيف والليل لم أهل

بشيء ولم تقصر فؤادي القوارع

وسار مع جمع من أصحابه في سيوفهم واخترقوا دروب القوافل التي  
تحمل حجاج العراق .

فمرت بهم قافلة تعج بحامل النساء ومن حولها فرسان من أهل  
مدينة سرمن رأى .

فداهمهم محمد بن صالح وأصحابه فولوا منهزمين وقدموا القافلة

جعل أصحابه ينيخون جمالها فطلعت عليه من العمارية امرأة ما رأى .  
قط أحسن منها وجهاً ولا أحلى منها منطقاً .

فقالت : يا فتى إن رأيت أن تدعولى الشريف المتولى أمر هؤلاء  
الفرسان . فقال لها محمد بن صالح : لقد رأيته وسمع كلامك . قالت :  
سألتك بحق الله وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت هو ؟

فقال : نعم وحق الله وحق رسوله إنى لهو .

فقالت : وأنا حميدة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الخزيمى ، ولأبى .  
محل من سلطانه ولنا نعمة ، إن كنت عن سمع بها فقد كفاك ما سمعت ،  
وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيرى ، ووالله لا استأثرت عليك .  
بشئ . أملكك والى ذلك عهد الله وميثاقه على . وما أسألك إلا أن  
تصوننى وتسترنى ، وهذه ألف دينار معى لنفقتى فخذها حلالاً .

وهذا حلى على من خمسمائة دينار فخذ . وضمنى ما شئت بعده  
آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعنى  
شيئاً أطلبه ، وادفع عنى وارحمنى من أصحابك ومن عار يلحقنى .

فوقع قولها من قلبه موقعاً عظيماً وقال لها :

قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك ، وهب لك القافلة  
بجميع ما فيها :

ثم خرج فنأدى في أصحابه فاجتمعوا ، فنأدى فيهم : إني قد أجزت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحمتها ، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتي ، ومن أخذ منها خيلاً أو عقلاً فقد آذنته بحرب .

وانصرف مع أصحابه وخلي القافلة لسيولها .

ومضت حمدونة في القافلة حتى أتمت مناسك الحج وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم عادت إلى سر من رأى وكانت عاصمة ملك الخليفة المتوكل على الله العباسي .

وذاع بين الناس حديث القافلة وما جرى لها من خوارج أهل المدينة الحسينيين بدرب الحجاز حتى بلغ مسامع الخليفة ، فأنفذ جيشاً كبيراً مع رجل من قواده يدعى أبا الساج فقاتلهم أشد قتال وقتل بعضهم ، وأخرب ضاحية السويقة مقرهم وحرق منازلهم بها وعقر بها نخلاً كثيراً وأثر فيهم وفي قريتهم آثاراً قبيحة .

وحمل محمد بن صالح وجماعة منهم في الحديد إلى سر من رأى وزجوا بهم في السجون .

ولبث في السجن ثلاث سنين ، قلباً طال عليه المدى في سجنه . قال متوجعاً :

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه      وتشعبت شعباً به أشجاناه  
وبدا له من بعد ما اندمل الهوى      برق تألق موهناً لمعانه

فدنا لينظر كيف لاح قلم يطق      نظراً إليه ورذه سبحانه  
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه      والماء ما سحت به أجفانه  
وبدا له أن الذي قد ناله      ما كان قدره له ديانته  
يا قلب لا يذهب بحملك باخل      بالنيل باذل تافه منانه  
واقنع بما قسم الإله فأمره      ما لا يزال عن الفتى إتيانه  
والبؤس ماض ما يوم كما مضى      عصر النعم وزال عنك أوانه

فبينما هو ذات يوم في سجنه إذ جاءه السجنان وقال له : إن بالبواب  
امرأتين تزعمان أنهما من أهلك، وقد حظر على أن يدخل عليك أحد  
غير أنهما قد وهبتا لي دملجاً من ذهب ، وتوسلتا إلى أن أحملهما إليك  
وقد أذنت لهما ، وهما في الدهليز فاخرج إليهما إن شئت .

ففكر فيمن يجيئه في هذا البلد وهو غريب به لا يعرف أحداً  
من أهله، ثم قال: لعلهما من بعض نساء أهلي، ثم خرج إلى الدهليز فرأى  
حمدونة بنت عيسى وعزفها .

أما هي فحين رآته بكت إذ تغير من طول الحبس وثقل  
القييد الحديد .

فأقبلت عليها الأخرى التي كانت معها وقالت : أهو هو ؟  
فالت : أي والله إنه هو هو . ثم أقبلت حمدونة عليه .

ثم أقبلت حمدونة عليه وقالت : فذاك أبى وأى ! والله لو استطعت  
أن أفيك بما أنت فيه بنفسى وأهل لفعلت وكنت بذلك منى حقيقاً .  
والله لا تركت المعاونة لك ، والسعى فى حاجتك وخلاصك بكل  
حيلة ومال وشفاعة .

وقدمت له صرة وقالت : هذه دنائير وثياب وطيب فاستعن بها  
على موضعك ، ورسولى يأتىك فى كل يوم بما يصلحك حتى يفرج  
الله عنك .

وأخرجته من الصرة كسوة وطيباً وما تقي دينار ، وكان رسولها  
يأتية فى كل يوم بطعام نظيف ويتواصل برها بالسجان فلا يمنع  
عنه أى شىء أراد .

وسعى كبار رجال الدولة لدى الخليفة المتوكل فى العفو عن  
محمد بن صالح ، واتصلوا به فى سجنه ونقلوا عنه الكثير من شعره  
فى الشكوى والتفجع لطول مكثه فى السجن .

وجاء بشعره الوزير الفتح بن خاقان إلى المغنين فلهنوه وغنوا  
به فى مجلس المتوكل فاستحسن المتوكل الشعر والغناء وهى الآيات  
التي قال فى مطلعها :

طرب الفؤاد وعاددت أحزانه وتشعبت شعباً به أشجانه  
وسألهم المتوكل عن قال الشعر فأخبره أهل مجلسه وكلموه



في أمر محمد بن صالح وأحسنوا الشفاعة فيه ، وقام وزيره الفتح في ذلك خير قيام .

فأمر المتوكل بإطلاقه من حبسه على أن يكون عند الفتح وفي يده ، حتى يقيم كفيلا بنفسه ألا يبرح سر من رأى ، فأطلقوا سراحه وأخذ الفتح عليه الإيمان الموثقة ألا يبرح سر من رأى إلا بإذن منه .

فأتى محمد بن صالح خير الثناء على الخليفة ومدحه بقصائده .  
ودخل مدينة سر من رأى وغالط سراة الناس ووجوه أهل البلد .

وفاض به حبه لحمدونة بنت عيسى فقال .

لعمر حمدونة إني بها لمغرم القلب طويل السقام  
مجاوز للقدر في حبها مباين فيها لأهل الملام  
مشايي قلب يخاف الحنا وصارم يقطع صم العظام  
جشمتي ذلك وجدى بها وفضلها بين النساء الوسام  
زينها الله وما شأنها وأعطيت منيتها من تمام  
تلك التي لولا غرامي بها كنت بسامرا قليل المقام

وأخذ يرأسها ليرى إن كانت ترضى به بعلا لها فأنعمت واستجابت له وقالت: إنما أمرى إلى أبي .

فذهب إلى أبيها عيسى بن موسى وخطبها إليه فأعرض عنه وأورده

وقال ما كنت لأنسى ما قد شاع في الناس عنك في أمرها، وقد فضحت  
أعراضنا بين الناس .

فخرج من مجلسه منكساً رأسه حياء وقال في طريقه :

وموني وإياها بشنعاتهم بها أحق أدال منهم فتعجلا  
بأمر تركناه ورب محمد عياناً فيما غفلة أو تجملا

وكان من خصاصته بين وجوه الناس وأدائها مري عظيم يدعى  
إبراهيم بن المدبر فزاره يوماً وقال له: إني أريد المقام عندك اليوم على  
خلوة لأبئك من أمرى شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا ، فرحب به  
وصرف من مجلسه من كان معه ثم خلا به .

فلما أكلا واضطجعا حدثه بحديث حمدونة بنت عيسى وما جرى  
له معها في موسم الحج وفي السجن ، وما صنعت به من دلائل المروءة  
إلى أن عفا عنه المتوكل ، ثم تدرج في حديثه فوصف زيارته لآبيها وعودته  
من مجلسه منكس الرأس محزون الفؤاد .

فواساه ابن المدبر وطيب خاطره وقال له: إن عيسى بن موسى والد  
حمدونة من صنائع أخى وهو لى مطيع ، وأنا أكفيك أمره ، فلما كان  
من الغد زار ابن المدبر عيسى في منزله وقال له قد جئتك في حاجة لى  
فقال: هى مقضية ، وكان أحب إلى أن تأمرنى فأجبتك ، فقال له : قد  
جئتك خاطباً إليك ابنتك ، فقال: هى أمة وأنا لك عبد وقد أجبتك .

فقال له إني خطبتها على من هو خير مني أبا وأما وأشرف لك متصلا وهو محمد بن صالح العلوى .

فقال له : ياسيدى هذا رجل قد لحقنا بسببه ظنة وقيلت فينا أقوال .

فقال له ابن المدبر : أليست كل تلك الأقوال باطلة ؟ فقال : بلى والحمد لله ، فقال له : فكأنها لم تقل . وإذا تم بينكما الزواج زال كل قول وتشنيع .

وجعل يرفق به ويهون عليه من وقع الحادث حتى أجاب .

فبعث إلى محمد بن صالح فأحضره وزوجه من حمدونه وساق عنه مهرها .

فأتى محمد بن صالح أطيب الثناء على صديقه ابن المدبر ونظم فيه الدرر من مدائحهم وقال في مطلع إحداها :

أخ واساك في كلب الليالى وقد خذل الأقارب والنصير  
وعاش ممتعا بجمدونه ردحا من الزمن فاشتد به الحنين إلى وطنه  
بالحجاز ، وجاهد في الرجاء إلى وجوه الدولة ليؤذن له بالرجوع إلى  
وطنه فلم يجب إلى طلبه .

فأقام على رغبه بسر من رأى حتى توفى إلى رحمة الله

(١)

## حكاية

### الأحوص الشاعر وأم جعفر

كانت أم جعفر امرأة من الأنصار عرفت بالعفة وصدق الحديث،  
وحكوا أن الأحوص الشاعر قد شبيب بها فأكثر من الشعر، وسمعه  
الناس فما قال فيها :

وإني ليدعوني هوى أم جعفر      وجاراتها من ساعة فأجيب  
وإني لآتي البيت ما إن أحبه      وأكثر هجر البيت وهو حبيب  
وأغضى على أشياء منكم تسوؤني      وأدعى إلى ما مسركم فأجيب

فغضب أخوها وتوعد الأحوص وشكاه إلى والى المدينة، وكان  
عمر بن عبد العزيز، ولما أكثر الأحوص من ذكر أم جعفر وفشا بين  
الناس شعره فيها وغناه المغنون، خرجت على الناس في نقابها حتى وقفت  
على الأحوص في مجلس قومه وكان لا يعرفها، فقالت له : ادفع لي ثمن  
الغتم التي ابتعتها مني، فقال : ما ابتعت منك شيئاً، فأظهرت له كتاباً من صنع  
يدها قد لفته عليه، وبكت وشكت للحاضرين، وقالت : يا قوم كلوه ليدفع

لى ثمن غنمى ، فلامه فومه وقالوا : اقض للراة حقها ، فجعل يحلف أنه  
ما يعرفها ولا رآها قط . فكشفت وجهها وقالت له : ويحك أمانعرفنى؟  
فجعل يحلف مجتهداً أنه ما يعرفها ولا رآها قط .

فاستفاض قولها وقوله ، واجتمع حولها الناس وسمعوا ما دار وكثر  
لغظهم وأقوالهم ، فقامت أم جعفر ثم قالت : أيها الناس اسكتوا . ثم أقبلت  
على الأحوص وقالت : يا عدو الله ، لقد صدقت والله ما لى عندك دين ،  
وأنت لا تعرفنى . وقد حلفت على ذلك وأنت صادق ، وأنا أم جعفر ،  
وأنت تقول فى شعرك قلت لأم جعفر وقالت لى أم جعفر .

فجعل الأحوص وانكسر ، وتحدث الناس بظهر أم جعفر  
ورامتها .

(٢)

## حكاية

بين أبى يوسف، القاضى وابن جامع المغنى

كان ابن جامع مع ما عرف له من التقدم والسبق فى الفناء والنعم،  
من أحفظ خلق الله لكتاب الله .

كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلى الصبح .  
فقدم مرة على أمير المؤمنين الرشيد ببغداد ، وكان ابن جامع يعتم  
بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ، ويلبس لباس الفقهاء ، ويركب حماراً  
مريشياً فى زى أهل الحجاز .

فبينما هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عليه إذ أقبل  
أبو يوسف القاضى بأصحابه أهل القلائس، فلما دنا من الباب وقعت عينه  
على ابن جامع فرأى سمته وحلاوة هيئته، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال  
له: أمتع الله بك، تو سمتك من أهل الحجاز قرشياً فقال له: أصبت. فقال: فمن  
أى قریش أنت؟ قال: من بنى سهم قال: فأى الحرمين منزلك؟ قال مكة. قال:  
ومن لقيت من فقهاءهم؟ فقال له: سل عن شئت، فهاتمه الفقه والحديث  
فوجد عندهما أحب فأعجب به، ونظر الناس إليهما وقالوا: هذا القاضى.  
قد أقبل على المغنى وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع .

وفي اليوم التالي اجتمع الناس بباب يحيى بن خالد يلتمسون الإذن عليه ، وكان فيهم أبو يوسف القاضي الذى جعل يتلفت حوله باحثاً عن ابن جامع ، فلما عثر به وقف بجانبه وحدثه طويلاً كما فعل فى المرة الأولى .

فلما انصرف أبو يوسف قال له أصحابه : أيها القاضي أتعرف هذا الرجل الذى كنت تواقفه وتحادثه ؟ قال : نعم ، هو رجل من قریش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : بل هو ابن جامع المنفى ، فقال أبو يوسف : إنا لله .

فقال له أصحابه : إن الناس قد شهروك بالوقوف معه وأنكروا منك ذلك الفعل . وفى اليوم الثالث اجتمع الناس بباب يحيى بن خالد يلتمسون الإذن عليه ، وكان فيهم أبو يوسف القاضي وابن جامع المنفى . ولما رأى أبو يوسف ابن جامع بعد عنه فعرف ابن جامع أن الناس حذروه منه .

فدنا من أبى يوسف وسلم عليه فرد عليه ولكن بغير الوجه الذى كان يلقاه به ، وكان ابن جامع جبراً أرفع صوته وقال : يا أبا يوسف ، مالك تنحرف عني ؟ أى شيء أنكرت مني ؟ قالوا لك : إن ابن جامع المنفى فكرهت الوقوف معي . إني أسألك عن مسألة واصلع بعدها ماشئت . ومال الناس إليهما يستمعون فقال ابن جامع : يا أبا يوسف لو أن أعرايا جلفاً وقف بين يديك فأنشدك بحمراء وغلظة من لسانه وقال :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد  
أ كنت ترى بذلك بأساً؟ فقال: لا، فقد روى عن النبي صلى الله عليه  
وسلم قوله في الشعر .

قال ابن جامع : فإن قلت أنا هكذا .

وغنى بيت الشعر ثم قال : يا أبا يوسف أرايتنى زدت فيه  
أو نقصت منه ؟

فقال له : عافاك الله أعفنا من ذلك ، فقال له ابن جامع : ألا ترى أتى  
حسنه بلفظي فحسن في السماع ووصل إلى القلب ، وذلك دليل على أن  
النغم فضل يبق من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجِه فأخرجته  
الطبيعة بالألحان .



(٣)

## حكاية

مرت جارية على ظهرها قرية بأبي ريحانة المدنى، وهى تنفى وتقول :  
وأبكى فلا ليلى بكى من صباية . إلى ولا ليلى لذى الود تبذل  
وأخنع بالعتي إذا كنت مذنباً وإن أذنبت كنت الذى أتصل  
فقام إليها أبو ريحانة وقال : ياسيدتى أعيدى . فقالت : إن مولاتى  
تفتظرنى والقرية على ظهرى .  
فقال : أنا أحملها عنك . فدفعنها إليه فحملها وغطته الصوت فطرب  
ورمى بالقرية فشققها .

فقال له الجارية : أمن حق أن أغنيك وتشق قروى ؟  
فقال لها : لا عليك ! تعالى معى إلى السوق فقامت معه فباع ملحفته  
واشترى لها بئمنها قرية جديدة .

( ٤ )

## حكاية

من غريب ما قرأنا في الجزء السابع من كتاب الأغاني ، أن رجلاً اسمه بردان من أهل المدينة المنورة كان مغنياً ، وقد أخذ الغناء عن معبد وعزة الميلاء وجميلة ، ومع ذلك لم يكن مجرحاً لدى القضاء بل كان مقبول الشهادة .

فبين ولياً للحسبة بأسواق المدينة يفصل في الخصومات بين الناس وكان ذلك في أيام الأمويين .

فتقدم إليه يوماً رجل يشكو خصماً له ادعى عليه بحق له ، فأمر بردان بحبس المدعى عليه .

فقال له الخصم : إنك أعلم بمن آخر غير من الحكم بين الناس — يريد من الغناء — فقال له : لعلك تعنى الغناء ، إنى والله به لعارف ولو سمعت شيئاً جديداً جاء البارحة لازددت علماً وفهماً ، ومهما جهلت فإنى بوجوب الحق عليك لعالم ، اذهبوا به إلى الحبس حتى يودى إلى غريمه حقه . وكان بردان رجلاً خفيف الروح طيب الحديث مليح النادرة .

(٥)

## حكاية

تقدم مغن اسمه دهمان للشهادة أمام قاض اسمه عبد الميز  
ابن المطلب لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق ،  
فأجاز القاضى شهادته ، فقال له العراقى : إنه دهمان المغنى ، فقال القاضى :  
إن أعرفه ولو لم أعرفه لسألت عنه ، فقال العراقى : إنه يبنى ويعلم  
الجوارى الغناء ، فقال له القاضى ، غفر الله لنا ذلك وأينا لا يتغنى ؟  
فخرج دهمان وهو يقول : ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء .

---

(٦)

## حكاية

قال المغيرة بن شعبة : ما غلبني إلا غلام من بني الحارث ابن  
كعب ، وذلك أني خطبت امرأة من قبيلته ، وكان عندي ذلك  
الغلام ، فقال : أيا الأمير لا خير لك فيها ، فقلت : يا ابن أخي وما لها ؟  
قال : إني رأيت رجلا يقبلها فعدلت عنها ، فبلغني أن ذلك الفق  
تزوجها . فقلت له : ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ قال : بلى لقد  
رأيت أباها يقبلها .

---

(٧)

سائب خاثر

كان من موالى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، اشتراه ثم أعتقه وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربي بالمدينة ، وكان في أول أمره يغنى مرتجلا ، ويقرع بقضيب ، ثم اتخذ العود .

وهو أستاذ الغناء العربي ، نقل عنه ابن سريج ومعبود وعزة الميلاء وجبيلة ، وكان في خدمة عبد الله بن جعفر ، قد آلى ألا يغنى لأحد سواه إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد ، ومع ذلك فقد كان يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته .

ووفد عبد الله بن جعفر على معاوية بن أبي سفيان في خلافته ، ومعه سائب خاثر فقضى معاوية له حوائجه ، فعرض عليه عبد الله حاجة لسائب خاثر ، فسأله معاوية عنه فقال : رجل من أهل المدينة يروى الشعر ، فقال معاوية : أو كل من روى الشعر فصله ؟ فقال : إنه أحسنه ، ثم قال : أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم .

فألبيه إزارا ورداء فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنى :

لن الديار رسوما تقرر لعبت بها الأرواح والقطر  
وخلالها من بعد ما كنها حجج مضين ثمان أو شر

وقدم معاوية المدينة المنورة فأمر حاجبه بالإذن للناس أن يخرج ثم عاد فقال: ما بالباب أحد.

فقال معاوية: وأين الناس؟ فقال: عند ابن جعفر. فدعا معاوية بيغلة فركبها إلى بيت ابن جعفر، فلما جلس أشار رجل من قريش إلى سائب خاثر فقال: يمشي بين السباطين وغى :  
لنا الجففات القر يلعن بالضحي وأسيفنا. يقطرن من نجمة دماً  
فسمع منه معاوية وطرب .

---

(٨)

## حكاية

كانت جارية بسوق المدينة تسوق بعيراً وترنم بالشعر بصوت  
مليح فقالت :

ألا أيها البيت الذي حيل دونه    بنا أنت من بيت وأهلك من أهل  
ثلاثة أيات فبيت أحبه    وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي  
فطرب من صوتها شاب من أهل السوق ، وقال : لمن هذا الشعر  
يا جارية ؟

قالت : أما ترى تلك الكوة الموقاة بالكلية الحمراء ؟ فقال إنى  
أراها . فقالت : من هناك نهض هذا الشعر . فقال : أوقاته في الأحياء .  
قالت : هيهات لو أن ميتاً يرجع لطول غيبته .

(٩)

## حكاية

دخل سعيد بن عثمان بن عفان ، على معاوية بن أبي سفيان ، فقال له : علام جعلت ولدك يزيد ولي عهدك دوني ، فوالله لأني خير من أبيه وأمي خير من أمه ، وأنا خير منه ، وقد وليناك فما عزلناك ، وبنا نلت ما نلت .

فقال له معاوية : أما قولك : إن أباك خير من أبيه فقد صدقت . لعمر الله : إن عثمان لخير مني . وأما قولك : إن أمك خير من أمه ، فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها ، وأن يرضاها بعلها ، وأن ينجب ولدها . وأما قولك : إنك خير من يزيد ، فوالله يا بني ما يسرنى أن لي بدل يزيد ملء الغوطة مثلك .

وأما قولك : إنكم وليتموني فما عزتموني ، فما وليتموني ، وإنما ولاني من هو خير منكم : عمر بن الخطاب ، فأقرتموني ، وما كنت بشئ الوالي لكم ، لقد قت بئاركم وقتلت قتلة أبيكم ، وجعلت الأمر فيكم وأغنيت فقيركم ، ورفعت الوضع منكم .

فكلمه ولده يزيد ، فولى سعيداً خراسان .



(١٠):

## حكاية

طلب معاوية محمد بن جعفر بن أبي طالب من سيد بني خثعم، لأنه  
أستجار به من معاوية وكان من أخواله .  
فقال له معاوية : أسلم إلينا هذا الرجل .  
فقال : هو ابن أختنا قد لجأ إلينا لنحفظ دمه فدعه عنك يا أمير  
المؤمنين :

فقال : والله لا أدعه حتى تأتيني به ، فقال له : لا والله لا آتيك به .  
فقال معاوية : كذبت والله لتأتيني به . إنك ما علمت إلا حق .  
فقال الرجل : أجل إني لاحق حين أقاتلك على ابن عمك لاحق  
دمه ، وأقدم ابن عمي دونه لتسفلك دمه .  
فسكت عنه معاوية وخلي بينه وبينه .

(١١)

## حكاية

### عزة الميلاء

كانت عزة مولاة للأنصار ومسكنها المدينة وهي أقدم من غنى الغناء الموضع من النساء بالحجاز . وكانت من أجمل النساء وجهاً وأحسنهن جسماً ، وسميت الميلاء لتأيلها في مشيها ، وكانت من أحسن الضاريين بالعود مطبوعة على الغناء ، لا يعيها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه . وكان مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة قالوا : لله درها ! ما كان أحسن غناءها ومد صوتها وأندى حلقها ، وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وأجمل وجهها وأظرف لسانها وأكرم خلقها ، كانت ذات إسلام لا يشوبه دنس ، إذا جلست جلوساً عاماً فكان الطير على رؤوس أهل مجلسها ، من تكلم أو تحرك نقر الطير رأسه .

وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب سيد بني هاشم وابن أبي عتيق حفيد أبي بكر الصديق وغيرهم من رجالات قريش يشعشعونها في منزلها فتغنيم ، وكان عمر بن أبي ربيعة شاعر قريش الأكبر يقيم بمسكنه ويزور عزة بالمدينة يستمع إلى غنائها .

---

(١٢)

## حكاية

### عائشة بنت طلحة

إن جدها لأمها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وخالتها السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت أجمل النساء وأكلمهن حسناً ، وما كانت تستر وجهها من أحد فعاتبها زوجها في ذلك ، فقالت : إن الله تبارك وتعالى وسمنى بمسمى جمال ، أحبت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم ، فما كنت لأستره ، ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد .

وكانت إلى جانب ذلك شرسة الخلق وقيل : إن ذلك كان شأن نساء قبيلتها بنى تيم فهن أشرس خلق الله وأحظاهن عند أزواجهن . وذكروا أن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما تزوج من أم إسحق بنت طلحة وهي أخت عائشة فكان رضي الله عنه يقول عنها : إنها ربما حملت ووضع ، وهي مصارمة لي لا تكلمني .

وعائشة بنت طلحة تشبه السيدة عائشة أم المؤمنين خالتها ، وهي التي زوجتها من عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، فهو ابن أخيها

وابن خال عائشة بنت طلحة، ففاضت به وخرجت من دارها وعليها ملحفة تريد منزل خالتها السيدة عائشة، فمرت بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فراها الصحابي الجليل أبو هريرة، فقال: سبحان الله كأنها من الخور العين. فكشفت عند السيدة عائشة أربعة أشهر ومات زوجها بعد حين، وقد رزق منها ثلاثة ذكور وابنتين.

وتزوجها من بعده مصعب بن الزبير، وكان واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير الذي كان الخليفة، فأمرها مصعب بخمسمائة ألف درهم، فأذاقته الأمرين من نهارها، فشكا ذلك إلى كاتبه، فقال له: أنا أكفيك هذا إن أذنت لي، فقال له: افعل ما شئت.

فزارها الكاتب ليلا ومعه عبدان أسودان فاستأذن عليها فقالت: أنى مثل هذه الساعة؟ قال: نعم، فلما دخل قال للعبدان: احفرا ههنا بئرا فقالت جاريتها: وما نصنع بالبئر؟ فقال: لقد أمرني ذلك القاسي القلب يريد زوجها مصعب، وألح على أن أدفن مولانا عائشة، وهى حية، لأنه أسفك خلق الله للدم الحرام، فقالت له عائشة: ترفق قليلا حتى ألقاه، فقال: هيات لاسييل إلى ذلك، وصاح بالعبدان أن احفرا فلما رأت عائشة الجدمه بكى، وقالت: إنك قاتل مامنه بد، قال: نعم وإنى أعلم أن الله سيجزيه بعدك ولكنه في حال غضبه الآن، وهو كافر الغضب.

فقالت: وماذا أغضبه؟ فقال: هو يرى أنك تبغضينه وتطلعين إلى

رجل غيره ، فبككت وبكى جواربها معها وقالت: اذهب إليه واضمن عني أنى لن أعود إلى مغاضبته أبدا ، قال: فأعطينى الموائيق على ذلك فأعطته ، وصلحت بعد ذلك لمصعب .

وخرج مصعب يوما إلى حرب ضروس مع جيوش بنى أمية وغاب عن عائشة فترة طويلة ، ثم آب من غزوته منصورا ، فخرجت فهنأته بالفتح ، وجعلت تمسح التراب عن وجهه ، فقال لها: إئتى مشفق عليك من رائحة الحديد ، فقالت : لهو والله عندي أطيب من ريح المسك الأذفر .

وكان مصعب من أشد الناس إعجابا بها ، إذ لم يكن لها شبه في زمانها حسنا ودمانة وجالا وهيئة ومثانة وعفة .

وحكوا أن عائشة دعت نسوة من قريش وأجلستن فى مجلس فصد فيه الرياح والفواكه والطيب المحمر ، وخلعت على كل امرأة منهن خلعة تامة من الوشى والخز ومحوها ، ودعت عزة الميلاء ، وقالت لها: غنينا فغنت من شعر امرئ القيس :

وثغر أغر شقيت النبات لذيذ المقبل والمبتسم  
وما ذقته غير ظن به وبالظن يقضى عليك الحكم

وكان مصعب قريبا من مجلس النساء ومعه أخوان له ، فقام فانتقل حتى دنا منهن ، والستور مسيلة فصاح وقال: يا عزة إنا قد ذقناه فوجدناه

على ما وصفت فبارك الله فيك ، فخرجت عزة إلى مجلس الرجال  
وغنت مصعاً هذا الصوت مراراً .

وكبرت عائشة بنت طلحة حتى أيام عبد الملك بن مروان ، وكان  
الحارث بن خالد الشاعر القرشي والياً على مكة من قبل عبد الملك ،  
وكان يهوى عائشة ويذكرها في شعره فحجت عائشة ، وجعلت تطوف  
بالبيت فأذن المؤذن وخرج للصلاة فأرسلت عائشة إلى الحارث  
ابن خالد: إني قد بقي من طوافي شيء لم آت فكف عن إقامة الصلاة  
حتى أستوفى أداء المناسك ، فأمر الحارث المؤذن فكف عن إقامة  
الصلاة حتى فرغت من طوافها فضج الناس وسائر الحجيج .  
وبلغ الخبر عبد الملك فعزل الحارث من ولاية مكة .

---

(١٣)

## حكاية

### هلال بن الأسعر

هو رجل من بني مازن كان شجاعا شديد البأس والبطش عظيم الخلق أכולا ، عاش أيام بني أمية .

وكان أهل المدينة يستأجرونه فيحمل بضائعهم على إبله إلى أطراف البلاد فيحمي القافلة بسيفه وشجاعته .

فقدم المدينة مرة ، وكان الوالي رجلا من بني أمية ، فجعل يضع أحمال التجار عن إبله .

فخضر إليه رجل من قبل الوالي وأمره أن يذهب إلى الأمير ، فقال له : وماذا أصنع يا بني وأحمالي وأموال الناس التي بيدي ؟ فقال له : لا بأس عليك وعلى إبلك . وأحمالك ، فسار معه إلى الأمير فسلم عليه ، وقال له : جعلت فداك ما يفعل الله يا بني وأما تقي ؟ فقال له : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى تؤديها إليك ، فقال : فما حاجة الأمير إلى جعلني الله فداك ؟

وكان إلى جانب الأمير رجل أصفر اللون لم ير الناس بشراً أشد خلقاً ولا أعظم عنقا منه ، وقد فرع الناس بطول قامته وعرضه .

فقال الأمير لهلال : إن هذا الرجل لم يدع بالمدينة عبداً يصارع إلا صرعه ، وقد بلغني عنك ما سرتني من شدة البأس وقوة البدن فأردت أن يصارع الله على يدك هذا الرجل .

نقال هلال: جعلني الله فداك. إني قدمت الساعة من سفر بعيد، وقد بلغ التعب منى والجوع مبلغا عظيما، فإن رأى الأمير أن يدعنى اليوم حتى أضع الأحمال عن إيلي وأودى للناس أمانتى، وأريح يومى هذا، وأجيئه غدا إن شاء الله فليفعل.

فقال الأمير لأعوانه: اذهبوا معه فأعينوه على وضع الأحمال عن إبله وأداء أمانته للناس ثم انطلقوا به إلى مطبخى فأشبعوه ففعلوا جميع ما أمرهم به.

فلما كان من الغد حضر هلال وعليه جبة صوف بغير إزار وقد شد وسطه بعمامة، فسلم على الوالى فرد عليه السلام، فأشار على الرجل هلم ا فقال الرجل: ألبسوه منزرا فأمر الأمير بملحفة، فخلعوا الهلال ملحفة نظيفة فشد بها حقويه وخلع الجبة

وجعل الرجل يدور حول هلال يريد ختله، وقد بهت هلال وما كان يدرى ما هو صانع به، ودنا الرجل من هلال ودفع ظفره فى جبهته فشجه وأوجعه، فجعل هلال يتأمل الرجل فأراى فى جسده شيئا أصغر من رأسه، فجعل إبهامه فى صدغه وأصابه الأخرى فى أصل أذنه الأخرى، ثم غمره غمرة شديدة، فصاح الرجل قتلتنى قتلتنى، فصاح به الأمير: أن أغمس رأسه فى التراب فغمسها هلال فى تراب المجلس ووقع الرجل شبه مغشى عليه.

فضحك الأمير وأمر ل هلال بمجازة وصلة وكسوة.



(١٢)

## حكاية

### عيد الله بن قيس الرقيات

شاعر قرشي لقبوه بالرقيات لأنه شبب بنسوة ثلاث كل واحدة  
عنهن اسمها رقية .

وكان هواه مع عبد الله بن الزبير فخرج مع أخيه مصعب  
أبى الزبير لقتال عبد الله بن مروان ، ووقع قتال عنيف بين جيشي  
عبد الملك ومصعب ، وتحلف أنصار مصعب عنه حتى حضر الموقعة  
في قلة من الناس وقاتل حتى قتل .

وتتبع عبد الملك أنصار مصعب ، وأباح دم عيد الله بن قيس  
فدخل عيد الله الكوفة مستخفيا ودخل دارا كان بابها مفتوحا  
فقابلته ربة الدار وبناتها وأسكنته جناحا من دارها بعد أن جهزته  
بالفرش والطعام والشراب ، فلبث عندها أكثر من حول ، فكانت  
تقوم بما يصلح شأنه وتزوره كل صباح ومساء ، ولا تسأله من  
هو ولا هو يسألها من هي ، حتى سمع نداء الناس في الطرقات باسمه  
وسمع الوعيد له والجزاء الحسن لمن يرشد عنه .

فلما فترت حدة البحث عنه فاتح ربة المنزل برغبته في الشخوص  
إلى قومه ، فقالت له : نأتيك إن شاء الله بما تحتاج إليه .

فلما أمسى الليل صعدت إليه ربة البيت وقالت : إن شئت نزلت  
فقد أعددت لك راحلتين وعبداً يخدمك ، فركب وركب العبد معه  
حتى بلغ مكة فدخل باب منزله وقال : أنا عبد الله بن قيس فولول أهل  
بيته وبكوا ، فدخل إليهم ولبث فيهم حتى السحر ، وخرج مع العبد حتى  
قدم المدينة ، وطرق عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فرحب به ، وقد  
علم بخبره وكان ابن جعفر يصله دائماً ويقضى ديونه ، وسافر معه  
إلى دمشق وقابل عبد الملك بن مروان وطلب له الصصح والغفران ،  
وقال لعبد الملك : أليس ابن قيس هو القائل فيكم :

ما تقوموا من بنى أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا  
فأمنه عبد الملك ولكنه حرمه من عطائه ، وكان عطاؤه ألفين  
كل عام ، فعوضه عبد الله ما فاته من العطاء من ماله وزاده فيه ، فقال  
فيه ابن قيس :

إذا زرت عبد الله نفسى فداؤه رجعت بفضل من نداء ونائل  
وإن غبت عنه كان للود حافظاً ولم يك عنى فى المغيب بغافل  
وشاع بين الناس بيتان قالهما عبيد الله بن قيس الزقيات فى بنى  
أمية وغنى بهما الملهون فى المحافل وهما :

ما تقوموا من بنى أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا  
وأنهم سادة الملوك فما تصلح إلا عليهم العرب  
وتناقل الناس قول عبيد الله بن قيس في رقية إحدى الرقيات  
الثلاث وهو :

رفى بعيشكم لا تهجرتنا وميننا المنى ثم امطينا  
عدينا فى غد إن شئت إنا نحب وإن مقلت الواعدينا  
بقاما تنجزى عدتى وإما نعيش بما تؤمل منك حيناً

---

(١٥)

## حكاية

### جميلة

هي مولاة الأنصار كان منزلها في المدينة بضاحية السنخ وهي الضاحية التي كان ينزلها أبو بكر الصديق ، وكانت سيدة من غنى ووقع على العود، يجتمع بمنزلها كل أهل الفن ويזורها عليه الناس يستمعون إلى غنائها، وكانت قد أقسمت ألا تغنى في دار أحد إلا في بيتها .

أقبل عليها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكان أول يوم يزورها فاشتد البرور بجميلة ، وقامت تستقبله ومعها الجمل الفقير من الناس من زوارها فتلقته وقبلت رجله ويديه ، وجلس في صدر المجلس وتحلق أصحابه حوله .

فقالت له: ياسيدي وسيد آبائي وموالي كيف نشطت إلى أن تنقل قدميك إلى أمتك ؟ فقال: يا جميلة قد علمت ما آليت على نفسك ألا تغنى أحداً إلا في منزلك وأحببت الاستماع ، فقالت: جعلت فداك فأنا أصبح إليك وأكفر فقال: لا أكلفك ذلك .

فقال لخادمها الكبرى: هذا يوم له ما بعده فلا تصحبي عنا أحداً

فيه ، ففصت الدار بالناس وتعالى النهار واشتد الحر واستسقى الناس  
فدعت لهم بالسويق فشربوا ، وقام على رءوسهم الجوارى بالمناديل  
والمرائح ، وأمرت جواربها يروحن عن الناس ، وغنت بين يدي عبد الله  
ابن جعفر ، والجوارى يوقعن على الأعواد ويضربن بالمعازف ، وقامت  
وعليها برنس طويل وقام المغنون جميعاً وهم ابن سريج ومعبد والغريض  
وابن عائشة ومالك وبأيديهم الأعواد فضربوا على توقيع جميلة وغنوا  
جميعاً فى صوت واحد :

يمشين مشى قطا البطاح تأودا      قب البطون رواجح الأكفال  
فبين آنسة الحديث حية      ليست بفاحشة ولا مثقال  
وتكون ريقتهما إذا نهتها      كالملك فوق سلافة الجريال

فنظر عبد الله بن جعفر إلى ذلك الحسن البارع والهيئة الجميلة  
فأعجبه ووقع من نفسه وقال يا جميلة : لقد أوتيت خيراً كثيراً ، ما أحسن  
ما صنعت ! قالت : يا سيدى إن الجميل للجميل يصلح ، ولك هيات هذا  
المجلس ، ثم جلست تقف لعبد الله بن جعفر خاصة شعرا قاله حذافة  
ابن عامر يمدح به عبد المطلب جد عبد الله بن جعفر وغنى معها  
جواربها .

بنى شيبة الحمد الذى كان وجهه      يضىء ظلام الليل كالقمر البدر  
لساقى الحجيج ثم للخير هاشم      وعبد مناف ذلك السيد الغمر  
أبوكم قصي كان يدعى بجما      به جمع الله القبائل من فهر

(١٦)

## حكاية

### الكهيت الشاعر الأسدي

شاعر مقدم عالم بلغات العرب خير بأيامها ، من شعراء مضر وألسنها ، والمتحصين على قحطان المقارعين لشعرائهم بالمثالب والأيام ، المفاخرين بها ، عاش في دولة بني أمية ومات قبيل الدولة العباسية ، وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشمية من جيد شعره ومختاره .

ولم تزل عصيته للعدوانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة ، والمنافضة بينه وبينهم شائعة في حياته وبعد وفاته .

وكانت قبائل العرب لذلك العهد فريقين : قحطانية ، وهم قبائل اليمن ، ومضرية ، وهم قبائل الحجاز ، ولكل فريق شعراؤهم يفاخرون الفريق الآخر .

ومع أن الكهيت متشيع لأهل البيت من بني هاشم وله القصائد البليغة في رثاء الحسين وزيد بن علي ، ومدح بني هاشم مما أسخط عليه

منافسهم من الأمويين، غير أن قصائده قد خلقت له من صميم الأمويين  
أصدقاء وقفوا يسندونه ضد الخلفاء من بني أمية .

إن المؤرخين قد ذكروا تلك القصيدة التي أنشأها الكميث يهجو  
فيها اليمن ، فنارت لها نائرة الغضب في صدور ولاية الأمويين الذين  
من القبائل اليمنية وعلى رأسهم خالد بن عبد الله القسري الذي كان والياً  
على الكوفة فعمل على الإيقاع بالكميث ، فكتب بأخباره إلى الخليفة  
هشام بن عبد الملك الأموي ، وشنع عليه بقصائده الهاشميات التي يدح  
فيها بني هاشم ويهجو الأمويين .

فلما قرأها هشام أكبرها وعظمت عليه واستنكرها ، وكتب  
إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميث ، فلم يشعر الكميث  
إلا والخييل محدة بداره فأخذ وحبس بالسجن .

وكان أبان بن الوليد وهو من صميم الأمويين عاملاً على مدينة  
واسط ، وكان صديقاً للكميث . جمعتهما رابطة التعصب للعدنانية  
ضد القحطانية ، فبعث إلى الكميث غلاماً من عبيده على بغل ، وقال  
له: أنت حر إن أدركت الكميث ، وحمله رسالة كتب فيها أنه علم بأن  
هشاماً لا بد قاتله .

وأشار عليه باستدعاء زوجته يعني زوجة الكميث لتزوره  
في السجن ، وعليه هو أن ينتقب بنقابها ويلبس ثيابها ويضرب من السجن  
قبل أن ينكلوا به .

فأرسل الكميث إلى قتيان من بني عمه فأخبرهم الخبر وشاورهم فيه فسدوا رأيه، فبعث إلى زوجته فقصر عليها القصة، وقال لها : يا بنة العم، إن الوالى لا يقدم على أذيتك ولا يسليك قومك، ولو كنت أخشى شراً ينالك من الوالى لما عرضتك له .

فقبلت زوجته وألبسته ثيابها وإزارها وخمرته وقالت له : أقبل وأدبر ففعل ، فقالت : اخرج على اسم الله، وأخرجت معه جارية لها . فرأى يباب السجن جماعة من بني أسد وهى قبيلته ، وفيهم سيد من سادات قومه يدعى أبو الوضاح فنار معه حتى أدخله منزله .

ولما طال على السجنان الأمر نادى الكميث فلم يحبه فدخل ليعرفه خبره ، فصاحت به زوجة الكميث وقالت : وراءك لا أم لك افشق ثوبه ومضى صارخاً إلى باب والى الكوفة خالد بن عبد الله القسرى فأخبره الخبر ، فأحضر الوالى زوجة الكميث واسمها حُجى ، وكانت تشيع كزوجها ، وقال لها : يا عدوة الله احتلت على أمير المؤمنين ، وأخرجت عمه ، لأمثلن بك ولأصنعن ولأفعلن .

فاجتمعت عليه بنو أسد وقالوا : ما سيلك على امرأة منا خدعها زوجها ؟ نخافهم نخلى سيلها .

وأقام الكميث مدة متوارياً حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلاً فى جماعة من بني أسد على خوف ووجل .

وكان عالماً بالنجوم يهتدى بها فى سفره فاستيقظ بالليل يصلى



وأيقظ من نومه، ورأى بعض من معه شبحا في الظلام فاضطرب فنظر الكميّ إلى الشبح وقال: هذا ذئب قد جاء يستطعمكم، فجاء الذئب فربض ناحية منهم فأطعموه يد شاة فتعرقها، ثم مدوا له إناء به ماء فشرب منه، فلما ارتحلوا جعل الذئب يعوى، فقال الكميّ: إني لأعرف ما يريد، هو يعلمنا أننا قد أخطأنا الطريق، ثم صاح تيامنوا يافتيان فلما تيامنوا سكن عواء الذئب، وساروا في ذلك الدرب حتى بلغوا الشام.

وكانت قبيلة بني أسد لها منازل في بلاد الشام، وكذلك بنو تميم فتوارى فيهم الكميّ.

وأرسل إلى أشراف قريش، وكان سيدهم عنبسة بن سعيد ابن العاص، فحثت رجالات قريش بعضها إلى بعض، وأتوا عنبسة فقالوا: يا أبا خالد هذه مكربة قد أتاك إقربها، هذا الكميّ بن زيد لسان مضر، وكان أمير المؤمنين كتب في قتله فنجأ فقال عنبسة: مروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام.

فرضى الكميّ فضرب فسطاطه عند قبره، ومضى عنبسة إلى مسلة ابن هشام فقال له يا أبا شاكر امكربة أتيتهك بها تبلغ الثريا إن قتت بها. وأخبره الخبر، وقال: إن الكميّ قد مدحك عامة وأنت خاصة بما لم يسمع بمثله، فقال مسلة: على خلاصه. فدخل على أبيه هشام ابن عبد الملك وهو عند أمه في غير وقت دخوله، فقال له هشام:

أجئت لحاجة؟ قال : نعم . قال : هي مقضية إلا أن يكون الكمي  
فقال : ما أحب أن تستثنى على في حاجتي ، فقالت أمه : والله لتقضين  
حاجته كائنه ما كانت ، فقال هشام : قد قضيتها ، فقال : هي الكمي  
يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عز وجل ، وأتاك وهو شاعر  
مصر ، وقد قال فينا قولاً لم يقل مثله .

فقال : قد أمتته وأجزت أمانك له فاجلس له مجلساً ينشدك فيه  
ما قال فينا .

فعمد له مجلساً حافلاً فتكلم بخطبة ارتجلها ماسعاً بمثلها .

وجاء الكمي آمناً إلى منزله فحشدت له المضرية الهدايا ، وأمر  
له مسلة بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم . وكتب  
إلى خالد وإلى الكوفة بأمانه وأمان أهل بيته وجمعت له بنو أمية  
بينها مالا كثيراً .

---

(١٧)

## حكاية

### إخوان الصفا

كان فتیان مجتمعون في نظام واحد كلهم ابن نعمة قد ذكر ذاكر  
منهم فقال :

كنا اكثرينا داراً شارعاً على أحد طرق بغداد المعبورة بالناس ،  
وكننا نفلس أحياناً ونوسر أحياناً على مقدار ما يمكن الواحد من أهله ،  
ولا ننكر أن تقع مؤثنا على واحد منا إذا أمكنه ، ويبقى الواحد منا  
لا يقدر على شيء فيقوم به أصحابه الدهر الأطول ، فإذا أيسرنا أكلنا  
من الطعام أليته ودعونا الملهين والملهيات .

وكان جلوسنا في أسفل الدار فإذا عمدنا الطرب جلسنا في غرفة  
لنا تتمتع منها بالنظر إلى الناس .

وإنا لكذلك يوماً إذا بقي يستأذن علينا فقلنا له : اصعد ، فإذا  
رجل نظيف حلو الوجه سري الهيئة يلبى رواؤه أنه من أبناء النعم  
فأقبل علينا وقال :

إني سمعت مجتمعكم وحسن منادمتكم وصحة ألفتكم حتى كأنكم

أدرجتم في قالب واحد ، فأحييت أن أكون واحداً منكم  
فلا تحشسوا عني .

وصادف ذلك منا إقتاراً من القوت وقد كان قال لغلام له : أول  
ما يأذنون لي أن أكون كأحدهم هات ما عندك ، فغاب الغلام عنا غير  
كثير ، ثم أتانا بسلة خبز ران فيها طعام المطبخ من جدى ودجاج وورفاق  
وشنان ( ماء بارد ) وحلب ( عسل ) وأخلة ( ما يتخلل به ) فأصبنا  
من ذلك ، ثم أفضنا في شرابنا ، وانبسط الرجل فإذا أحلى خلق الله إذا  
حدث ، وأحسنهم استماعاً إذا حدث ، وأمسكهم عن ملاحظة إذا  
خولف . ثم أفضنا منه إلى أكرم مخالقة وأجمل مساعدة ، وكنا ربما  
امتحناه بأن ندعوه إلى الشيء الذى نعلم أنه يكرهه ، فيظهر أنه لا يجب  
غيره ، ويرى ذلك في إشراق وجهه ، فكنا نغنى به عن حسن الغناء ،  
وتندارس أخباره وآدابه ، فشغلنا ذلك عن تعرف اسمه ونسبه ، فلم يكن  
منا إلا تعرف كنيته فإننا سألناه عنها فقال : أبو الفضل .

وقال لنا يوماً بعد اتصال الأتس : ألا أخبركم بم عرفتمكم؟ قلنا : إنا  
لنحب ذلك قال : أحببت جارية في جواركم فكنت أجلس لها في  
الطريق أتمس اجتيازها فأراها ، حتى أخلقى الجلوس على الطريق  
ورأيت عرفتمكم هذه فسألت عن خبرها فخبرت عن اتلافكم وتماثلكم  
ومساعدة بعضكم بعضاً ، فكان الدخول فيما أتم فيه أسر عندي  
من الجارية .

فسألناه عنها فغيرنا فقلنا له: نحن نظفرك بها ، فقال : يا إخواني ، إن الله على ما رآه من شدة الشغف والكلف بها ما قدرت فيها حراماً قط ، ولا تقديرها إلا مطاوعتها ومصابرتها إلى أن يمن الله على بشرة فاشترىها .

فأقام معنا شهرين ونحن على غاية الاغتياب بقربه والسرور بصحبته إلى أن إختلس منا ، فنالتنا بفراقه ثكل بعض أولوعة مؤلمة ، ولم نعرف له منزلاً نلتسمه فيه ، فكسر علينا من العيش ما كان طاب لنا به ، فغاب عنا زهاء عشرين يوماً ، فبينما نحن نجتاز يوماً من الرصافة إذا هو قد طلع في موكب نبيل وزى جليل ، فلما بصر بنا انحط عن دابته وانحط غلبانه ثم قال : والله يا إخواني ما هنا لي عيش بعدكم ، ولست أमित لكم عن خبري حتى آتي المنزل ، ولكن ميلوا بنا إلى المنزل فملنا معه فقال : أعرفكم أولاً بنفسى : أنا العباس بن الأحنف ، فتضاعف سرورنا به فهو من ظرفاء الشعراء وكرام أهل بغداد ، ولبثنا عامة يومنا ضيوفاً عليه .

(١٨)  
حكاية  
ديك الجن

واسمه عبد السلام، كان من شعراء الدولة العباسية يقيم بمدينة حمص من الشام .

وهو شاعر مجيد أحب جارية نصرانية من أهل حمص، وتمادى به الحب فعرض عليها الإسلام فأسلت فتزوجها، وكان اسمها ورد فحسده عليها ابن عم له فأشاع في الحى أن تلك الجارية تهوى غلاما، وكان زوجها عبد السلام قد سافر ليزور أحد الأمراء ويمدحه، فلما عاد دس إليه ذلك الخبر من جماعة رصدته ابن عمه ليكيدوا له، فأراد أن يمتحن زوجته وكانت لا علم لها بما دبروه، فلم يتمالك غضبه وسل سيفه فقتلها، ثم لاح له الحقيقة بأنها قتلت ظلما فبكاهما أحر بكاء وقال يرثيا :

يا ظلمة طلع الحمام عليها	وجنى لها بممر الردى يديها
رويت من دمها الثرى ولطالما	دوى الهوى شفى من شفتيها
قد بات سنى في مجال وشاحها	ومدامعى تجرى على خديها
فوحق نعلها وما وطىء الثرى	شئ أعز على من نعلها
ما كان قتلها لاني لم أكن	أبكى إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنا	وأنت من نظر الحسود إليها

(١٩)

## حكاية

حدث أحد رجال بني أمية وهو عمرو بن معاوية فقال : لقد عرف  
سليمان بن علي العباسي بالعفو والرحمة فقلت : أقصده لعله يحقق دمي ،  
فدخلت عليه ، وما كنت رأيته ولا رأي من قبل فقلت له :

أصلح الله الأمير لفظتي البلاد إليك ، ودلني فضلك عليك ، فيما  
قتلتني غانماً ولما رددتني سالماً .

فقال : ومن أنت فأعرفك ؟ فانتسبت إليه فقال ، مرحباً بك ، اقم  
فتكلم آمناً غانماً ، ثم أقبل على فقال :

ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت : إن الحرم اللواتي أنت أقرب  
الناس إليهن معنا ، وأولى الناس بهن بعدنا ، قد خزن لحوقنا ، ومن  
خاف خيف عليه .

فوالله ما أجابنى إلا بدموعه على خديه ثم قال :

يا ابن أخي يحقق الله دمك ، ويحفظك في حرمك ، ويوفر عليك مالك ،  
ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت ، فكن متوارياً كظاهر ،  
وآمناً كخائف ، ولتأتى رقاعك . فكنت والله أكتب إليه كما يكتب  
الرجل إلى أبيه وعمه .

## (٢٠) حكاية

حدث إبراهيم الموصلي فقال :

زرت مكة في إحدى السنين وبيننا أنا أجول في سككها إذا أنا  
بجارية سوداء قائمة ساهية باكية ، فأنكرت حالها وأدمنت النظر إليها  
فبكيت وقالت :

عمرو علام تجنبتني أخذت فؤادي فمذبتني  
فلو كنت ياعمرو خبرتني أخذت حذاري فما فلتني  
فقلت لها: يا هذه من عمرو؟ قالت، زوجي. قلت: وما شأنه؟ قالت:  
أخبرني أنه يهواني وما زال يطلبني حتى تزوجته فلبث معي قليلا ، ثم  
مضى إلى جدة وتركني فقلت لها: صغيه لي ، قالت : أحسن من رأيت  
سمرة وأحلام حلاوة وقدا . قال: فركبت رواحلي مع غلباني وصرت  
إلى جدة فوقفت في موضع المرفأ أتبصر من يحمل من السفن ، وأمرت  
من ينادي ياعمرو ياعمرو ، وإذا أنا به خارج من سفينة على عنقه  
طعام فعرفته بما وصفته به الجارية فقلت أمامه :

عمرو علام تجنبتني أخذت فؤادي وعذبتني  
فقال: هيه، أرايتها وسمعت منها؟ فقلت : نعم، فأطرق هنيهة يبكي



ثم اندفع فتنى ما غنته الجارية فكان أملح غناء سمعته، وردده على حتى أخذته منه، وإذا هو أحسن الناس غناء . فقلت له : ألا ترجع إليها ؟ فقال : طلب المعاش يمنعنى، فقلت : كم يكفيك معها فى كل سنة ؟ فقال : ثلثمائة درهم، فدعوته فأعطيته ثلاثة آلاف درهم، وقلت : هذا يكفيكما لعشر سنين على أن تقيم معها فلا تطلب المعاش إلا حيث هى مقيمة معك، ثم حملته إلى مكة وجمعت بينهما .

---

(٢١)

## حكاية

دب المرض في رجل عروة بن الزبير وهو من أئمة التابعين  
فقطعها ، ثم قدم المدينة ونزل قصره بالعقيق ، ثم بلغه أن ولده محمدا  
قتل ، فقال :

اللهم أخذت عضوا وتركت أعضاء ، وأخذت ابنا وتركت أبناء ،  
فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت ، وإن كنت ابتليت لقد عافيت .

وعاده عيسى بن طلحة فلما رأى رجله قال :

إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله ما أعددتلك للصراع ولا للسباق ،  
ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك : رأيك وعلمك .  
فقال عروة : ما عزاني أحد عن رجل مثلك .

---

(٢٢)

## حكاية

### ربيعة الرقي الشاعر

كان ربيعة الرقي الشاعر من أحظى الشعراء عند الرشيد ، فدح  
عم الرشيد وهو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان  
بخيلاً فأثاب الشاعر بدينارين

فدحه ربيعة الرقي ذماً قبيحاً تناقله الناس حتى بلغ مسامع الرشيد  
فاشتد غضبه على الشاعر وتوعده ، وأمر بإحضاره وإنهال عليه بالتهديد  
بالقتل ، فأنكر أنه ذم عمه وانطلق ينشد قصيدة له في مدح عمه سرمنها  
الرشيد ، وقال : بماذا أثابك عليها ؟ فامتنع من الإجابة فتشدد عليه  
الرشيد فقال أناثني يا أمير المؤمنين بدينارين ، وكان عم الرشيد حاضراً .  
فالتفت إليه الرشيد مغضباً وقال : سواة لك . أية حال قعدت بك  
عن إثابته ؟ الأموال ؟ فوالله لقد مولتك جهدي . أم اقتطاع المادة عنك ؟  
فوالله ما اقتطعت . أم أصلك فهو الأصل لا يدانيه شيء . أم نفسك ؟  
فلا ذنب لي . بل نفسك فعلت ذلك بك حتى فضحت آباءك وأجدادك  
وفضحتني ونفسك .

وظهر من الرشيد بعد ذلك جفاء كثير واطراح له .

ودخل العباس هذا يوما إلى الرشيد ومعه برقية فيها غالية فوضعها بين يديه ثم قال :

هذه يا أمير المؤمنين غالية صنعتها لك يدي ، اختير عنبرها من سحر عمان ومسكها من مفاوز التبت وبانها من ثغرتامة ، فالفضائل كلها بمجموعة فيها ، والنعت يقصر عنها ، وكان المجلس ربيعة الرقي الشاعر فقال :

ما رأيت أعجب منك ومن صفتك لهذه الغالية عند من إليه كل موصوف يحلب ، وفي سوقه ينفق ، وبه إليه يتقرب ، وما قدر غاليته هذه أعزك الله حتى تبلغ في وصفها ما بلغت ؟ أأجريت إليها نهرا أم حملت إليها وقرا ؟ إن تعظيمك هذا عند من تجي إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة ، وتذل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة ، وتسخره بطرف بلدانها وبدائع ممالكها حتى كأنك قد قهقت به ما عنده ، أو أبدعت له ما لا يعرفه ، أو خصصته بما لم يحويه ملكه .

أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلا جعلت حظي من كل جائزة وفائدة توصلها إلى مدة سنتي هذه الغالية حتى ألتقاها بحقي

فقال الرشيد ادفوها إليه . فدفعت إليه فأدخل يده فيها وأخرج ملثها فلفظ بها صدره ونفذه ، وأخرج حفتين فجعلهما تحت إبطيه

ثم قال : يا أمير المؤمنين غلامى يدخل إلى، فقال الرشيدى وهوىضحك  
أدخلوا غلامه .

فلما دخل الغلام دفع إليه البرنية وقال اذهب إلى جاريتى وقل لها  
طيبى بها بدنك، فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى ذهب الضحك  
وكاد العباس يموت غيظا ثم قام فأنصرف .

---

(٢٣)

## حكاية

كان أبو حازم قاضى الخليفة المعتمد العباسى فى مجلسه فتقدم منه رجل يطالب أباه بدين له عليه ، فأقر الأب بالدين ، وأراد الابن حبس الوالد بالدين ، فقال القاضى هل لأبيك مال ؟ فقال لا أعليه . فقال فذكم دايئته بهذا المال ؟ قال منذ كذا وكذا .

قال القاضى قد فرضت عليك نفقة لأبيك من وقت المداينة فحبس الابن وخلي الأب .

## مع بشار بن برد

قالت امرأة لبشار بن برد ما أدرى لم يهابك الناس مع قبج وجهك؟  
فقال ليس من حسنه يهاب الأسد .

وسأله أخرى أى رجل أنت ... لو كنت أسود اللحية والرأس !  
فقال أما علمت أن يبض البزاة أثنى من سود الغريبان؟ فقالت أما قولك  
لحسن فى السمع ، ومن لك بأن يحسن شبيك فى العين كما حسن قولك  
فى السمع؟ فقال بشار ما ألحمنى قط غير هذه المرأة .

---

## فهرس القصص

صفحة	المقدمة
١	١ - قصة جميل وبثينة
٦	٢ - عروة بن حزام وغراء بنت عقال
٢١	٣ - قيس بن ذريح الليث ولبنى بنت الحباب الكلبية
٢٩	٤ - قيس وليلى العامريين
٤٦	٥ - سلامة القص
٥٨	٦ - فرحة العاشق
٦٤	٧ - محمد بن صالح العلوي
٧٠	



## فهرس الحكايات

صفحة

٧٨	١ — حكاية الأحوص الشاعر وأم جعفر
٨٠	٢ — د بين أبي يوسف القاضي وابن جامع المقتى
٨٣	٣ — د جارية
٨٤	٤ — د بردان المقتى
٨٥	٥ — د دهمان
٨٦	٦ — د غلام من بنى الحارث
٨٧	٧ — د سائب خائر
٨٩	٨ — د جارية
٩٠	٩ — د سعيد بن عثمان بن عفان
٩١	١٠ — د محمد بن جعفر بن أبي طالب
٩٢	١١ — د عزة الميلاء
٩٣	١٢ — د عائشة بنت طلحة
٩٧	١٣ — د هلال بن الأسمر
٩٩	١٤ — د عبد الله بن قيس الزقيات
١٠٢	١٥ — د جميلة
١٠٤	١٦ — د الكيمت الشاعر الأسدى

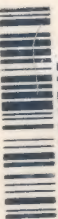
صفحة

١٠٩	١٧ — حكاية اخوان الصفا
١١٢	١٨ — ديك الجن
١١٣	١٩ — عن أحد رجال بني أمية
١١٤	٢٠ — إبراهيم الموصلي
١١٦	٢١ — عروة بن زبير
١١٧	٢٢ — ربعة الرقي الشاعر
١٢٠	٢٣ — أبو خازم قاضي الخليفة
١٢١	٢٤ — مع بشار بن برد



طبعة نهضة مصر

Bibliotheca Alexandrina



0321745